الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues
Département de langue et littérature Arabe

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

N° : .....

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــــــــــــــــــــــر

(تخصص تحليل الخطاب)

الشخصية ودلالتها في رواية "الأرض والدم" لمولود فرعون
دراسة سيميائية

مقدمة من قبل:

وداد بن عبد الحفيظ

تاريخ المناقشة : جـــــوان **2015**

لجنة المناقشة:

السعيد بومعزة	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945
سليمة العقوني	مقررا	جامعة 08 ماي 1945
حنان بن قيراط	ممتحنا	جامعة 08 ماي 1945

السنة: **2015**

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الفضل والمجد لك وحدك إلهي

أن وفقتني في عملي هذا فلك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت

ولك الحمد بعد الرضى

أهدي ثمرة جهدي لمن قال فيهما الرحمن: ﴿وقَضى رَبُّكَ ألاَّ تعْبُدُوا إلاَّ وبالوَالِدَيْن

إحسَانًا﴾

إلى من منحتني الحب والحنان فوق ما لا يصف الكلام

إلى جنتي في الأرض إلى المنبع الذي فيضه سقاني

إلى التي حبها نهاري وحنانها عمري

إلى سرّ وجودي وطرب عودي

إليك أمي

إلى الذي يشقى هو لأرتاح أنا إلى الذي كانت حياته كفاحًا وبه جنيت النجاح

إلى من يرفع تقاسيم الابتسامة الهاربة ليضع لي رداءًا شعاره التحدي وعنوانه التواضع والكبرياء

إليك أبي

أي الشموع التي تضيء حياتي وسندي في الحياة ولا أحصي لهم فضل

إخواني وإخواتي: اليمين ، عز الدين ، عبد القادر ، حضرية ، مروة

إلى من كنّ نعمة الصديقات رفيقات ردبي وحبيبات قلبي:

هناء ، حنان ، أميرة ، سعاد ، أحلام ، عقيلة ، وسام ، لمياء

إلى كل الأهل والأقارب سواءًا من قريب أو من بعيد

إلى من وسعهم قلبي وضاقت بهم هذه الصفحة.

وداد

شكر

﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أنْ هدَانا الله﴾

صدق الله العظيم

وحيث تزن الأمور بعقلانية تجد نفسك في قمة نجاحها.

إنّ نعمة الحياة تقتضي أنّ لكلّ بداية نهاية، فبعد المشوار الدّراسي وصلت وبتوفيق من الله إلى نهايته، رغم أنّ العلم لا نهاية ولا حدود له

أشكر الله العظيم على كلّ ما أنعم به علينا أولاً

ثم أشكر أهل العلم والمعرفة وذوي التجارب الخالصة على ما أفادوا به

خلال هذه المسيرة العلمية

شكرًا لكل الأساتذة الأعزاء الذين رافقوني منذ بداية المشوار الدّراسي

وبالأخص منهم الأستاذة المشرفة "سليمة العقوني"

التي كانت السند المعين لي

وإلى رئيس قسم اللغة العربية وآدابها الأستاذ "محمد العياشي عمياز"

وإلى أستاذ اللغة العربية بمتوسطة "محمد عبده" بقالمة الأستاذ "محمد الطاهر قمار"

إلى كل من كانت له بصمة في هذا العمل حتى ولو كانت بكلمة طيبة

وداد بن

عبد الحفيظ

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

مقدمة ..... أ–ج

مدخل: مفاهيم ومصطلحات عامة

1– مفهوم السيميائية 5

أ– لغـــــةً 5

ب– اصطلاحًا 6

2– اتجاهات السيميائية 7

أ– الاتجاه الفرنسي..... 9

ب– الاتجاه الأمريكي 9

ج– الإتجاه الإيطالي 10

د– الاتجاه الروسي 12

الفصل الأول: مفاهيم حول الشخصيات

1– مفهوم الشخصية 15

أ– لغـــــة..... 15

ب– اصطلاحًا..... 16

2– مفهوم الشخصية في النقد السيميائي 17

أ– الشخصية عند فلاديمير بروب..... 18

ب– الشخصية عند فيليب هامون..... 21

ج– الشخصية عند رولان بارت..... 23

د– الشخصية عند غريماس..... 24

3– أهمية الشخصية الروائية..... 26

4– أنواع الشخصيات..... 28

أ– الشخصية المسطحة..... 29

ب– الشخصية المدورة..... 29

ج– الشخصية النمطية..... 30

5– سيميائية الشخصية الروائية..... 31

أ– مدلول الشخصية..... 31

ب– دال الشخصية..... 32

الفصل الثاني: دراسة سيميائية لشخصيات رواية "الأرض والدم" لمولود فرعون

1- دلالة بعض أسماء الشخصيات وصفاتها..... 35
2- دراسة سيميائية الشخصيات..... 40
أ- سيميائية الشخصية الرئيسية..... 40
ب- سيميائية الشخصية الثانوية..... 41
3- الشخصيات المهيمنة في الرواية ومستوياتها..... 42
أ- دال الشخصية..... 42
ب- مدلول الشخصية..... 45
4- علاقة الشخصية بالمكان والزمان السردي للرواية..... 46
أ- علاقة الشخصية بالمكان..... 46
ب- علاقة الشخصية بالزمان..... 48
خـــــاتمة 51
ملحـــــق 54
قائمة المصادر والمراجع 58
ملخـــــص
فهرس الموضوعات

خطة البحث

مقدمة

مدخل: مفاهيم ومصطلحات عامة

1- مفهوم السيميائية

أ- لغـــــةً

ب- اصطلاحًا

2- اتجاهات السيميائية

أ- الاتجاه الفرنسي

ب- الاتجاه الأمريكي

ج- الإتجاه الإيطالي

د- الاتجاه الروسي

الفصل الأول: مفاهيم حول الشخصيات

1- مفهوم الشخصية .

أ- لغـــــة.

ب- اصطلاحًا.

2- مفهوم الشخصية في النقد السيميائي

أ- الشخصية عند فلاديمير بروب.

ب- الشخصية عند فيليب هامون.

ج- الشخصية عند رولان بارت.

د- الشخصية عند غريماس.

3- أهمية الشخصية الروائية.

4- أنواع الشخصيات.

أ- الشخصية المسطحة.

ب- الشخصية المدورة.

ج- الشخصية النمطية.

5- سيميائية الشخصية الروائية.

أ- مدلول الشخصية.

ب- دال الشخصية.

الفصل الثاني: دراسة سيميائية لشخصيات رواية "الأرض والدم" لمولود فرعون

1- دلالة بعض أسماء الشخصيات وصفاتها.

2- دراسة سيميائية الشخصيات.

أ- سيميائية الشخصية الرئيسية.

ب- سيميائية الشخصية الثانوية.

3- الشخصيات المهيمنة في الرواية ومستوياتها.

أ- دال الشخصية.

ب- مدلول الشخصية.

4- علاقة الشخصية بالمكان والزمان السردي للرواية.

أ- علاقة الشخصية بالمكان.

ب- علاقة الشخصية بالزمان.

خـــــاتمة

مقدمة:

تعد الرواية من أهم المجالات التي استقطبت الدراسة السيميولوجية لثرائها بالعلامات والدلالات، وقد انتشر موضوع سيميائية الرواية انتشارًا واسعًا بين الباحثين، إذ أخذت الرواية مكانة عالية ومرموقة في النقد العربي والغربي معًا، لأنها تعد تصويرًا حيًّا للتجربة الأدبية من خلال سردها لجملة الأحداث والوقائع التي تستمد جلها من هذا الواقع، فاستحقت بذلك أن توصف بأنّها مرآة عاكسة.

وقد حاولت الرواية أن تكون أكثر الأجناس الأدبية تعبيرًا عن إحساس الكاتب من جهة، وأقوى تصويرًا للواقع وخاصة الجزائري وأكثر تقويمًا من جهة أخرى، ثم إنها تعكس بوضوح الثقافة العربية والأدب العربي في الجزائر منذ زمن طويل، ولقد تأخر ظهور الرواية الجزائرية إلى مطلع السبعينات، ولاشك أنّ النّاس تعودوا قراءة االروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وترجمة معظمها إلى العربية، وبات النّاس يرددون أسماء كتابهم ويعرفون عنهم الشيء الكثير، بينما لا يعرفون عن كتاب النثر الجزائري الحديث إلاّ قليلاً.

ودراسة النص سيميائيًا تعني تنبؤًا لما يمكن أن يشتمل عليه من إشارات ورموز ومعاني خفية لبيان بناه الدّاخلية ودلالته وقصديته الفعلية على الدّارس السيميائي.

واختياري لهذا الموضوع الموسوم بـــ: "الشخصية ودلالتها في رواية الأرض والدّم لمولود فرعون".

كون هذا العلم حديث النشأة لم يمض على ظهوره إلاّ القليل لأنّ كل ما هو حديث يجلب انتباه واهتمام الباحثين، والغوص في فضاء كل شخصية والكشف عن غماره دلالتها، والدّافع الآخر هو إعجابي وميلي إلى هذا النوع من الدراسات كونه يساعد على فهم الأعمال الخفية للأعمال الأدبية عامة والرواية خاصة، وهذا ما وجدته فعلاً في رواية "الأرض والدم".

وبما أنّ الأدب الجزائري حصة لا بأس بها في المجال الروائي ارتأيت أن أختار أحد أهم أعلام الأدب الجزائري والعربي "مولود فرعون"، وتسليط الضوء على واحدة من أهم أعماله.

ومن هذا وذاك تتباين تساؤلات حول الشخصية ومدى يمكن تحليلها ووصفها في الرواية الجزائرية؟

ولما كان لزامًا على الباحث أن يكون له منهج بحث معين، فقد ارتأيت أن يكون المنهج الأنسب لموضوعي هو المنهج السيميائي الذي يجمع بين الوصف والتحليل الذي يتطابق مع طبيعة الرواية وموضوعها، فهو الأقرب والقادر على تحليلها وفك رموزها.

واعتمدت في بحثي على عدة مراجع أهمها: "سعيد بنكراد" "سيميولوجيا الشخصيات السردية"، "حميد لحميداني" "بنية النص السردي"، "عبد الملك مرتاض" "تحليل الخطاب السردي".

هذه المراجع التي أنارت لي الطريق طيلة إنجازي هذا البحث، ولست أدّعي أنّ البحث قد تم نضجه وبلغ غايته، ولكن أقدمه على أنّه محاولة بذلت فيه جهدي.

كما واجهتني جملة من الصعوبات في جمع المعلومات التي تخدم الموضوع، وذلك لنقص المراجع، وهذا راجع إلى تشعب وغنى الموضوع وضيق الوقت، وكون السيمياء علم حديث النشأة، إلاّ أنني حاولت أن أُلم بجوانب الموضوع على قدر المستطاع، وبذل أقصى جهدي لكي يرتقي البحث إلى الصدارة في عالم البحوث الأكاديمية ليكون فعلاً ثمرة جهدي.

وبعد جمع المادة العلمية وتصنيفها اقتضت الدّراسة أن أقسم البحث إلى: فصلين يتصدرهما مقدمة، مدخل وتذيلهما بخاتمة.

أمّا المدخل تحت عنوان "مفاهيم ومصطلحات عامة" تناولت فيه مفهوم السيميائية، إضافة إلى اتجاهاتها.

الفصل الأول فهو نظري تحت عنوان "مفاهيم حول الشخصيات"، تطرقت فيه إلى مفهوم الشخصية أهميتها وأنواعها، إضافة إلى سيميائية الشخصية الروائية.

والفصل الثاني فهو تطبيقي تحت عنوان "دراسة سيميائية لشخصيات الرواية"، وفيه قمت بتحليل شخصيات رواية "الأرض والدم"، حين عمدت إلى فك رموز الشخصيات والهدف من ذلك هو معرفة العلاقة الموجودة بين أسماء هذه الشخصيات، والأدوار التي تؤديها، واستخراج مختلف الدلالات التي تومئ إليها انطلاقًا من بنيتها الخارجية.

وآمل أن تكون قراءتي هذه مساهمة متواضعة في تحليل الشخصية في أحد الأعمال الروائية الجزائرية، معتذرة عمّا يشوبها من نقص وقصور نظرًا لضيق الوقت، وأقدم بذلك جزيل الشكر والتقدير والاحترام للأستاذة المشرفة "العقوني سليمة"، وأتمنى أن تكون هذه الدراسة بمثابة نقطة الانطلاق لبحوث أخرى أكثر عمق ودقة، كما أتمنى أن يكون مفيدًا لأجيال أخرى في المستقبل إن شاء الله.

1- مفهوم السيمياء:

أ- لغــةً:

جاء في لسان العرب لابن منظور في تعريف السيمياء: السمة والسيمياء العلامة، وقال الجوهري: قولهم عليه سيما حسنة معناه علامة وهي مأخوذة من وسمت، قال والأصل في سمى وسمي فحولت الواو من موضع الفاء فوضحت في موضوع العين.

السيم: العلامات على صفوف الغنم.

والسيما: ياؤها في الأصل واو وهي العلامة يعرف بها الخير والشر، وقال السيما بالمد «والسيمياء في العرب هي العلامة»[1].

وجاء في تعريف السيمياء في معجم تاج اللغة وصحاح العربية في مادة (س.و.م)

- السُومَةُ: بالضم، العلامة التي تجعل على الشاة، وفي الحرب أيضًا، ومنه تسوم، «فإنّ الملائكة قد تسومَت»[2].

- وتَسَوَّمَتْ: فلانًا في ماله إذ حكمته في مالك، عن أبي عبيدة: والخيل المسومة: المرعية والمسومة.

- وّالسَّام: الموت، وسام أحد بني نوح عليه الصلاة والسلام، وهو أبو العرب، والسوام بمعنى هو المال الراعي.

وجاء في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾[3].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 1997م، ص .....

(2) أبو نصر إسماعيل بن حمد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل .....، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5، ط1، 1999م، ص 304.

(3) سورة البقرة، الآية 273.

ب- اصطلاحًا:

السيميائية أو السيميولوجيا هي دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، وهي في حقيقتها «كشف واستكشاف لعلامات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة، إنها تدريب للعين على النقاط الضمني والمتواري والمتصنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق والتعبير عن مكنونات المتن»[1].

وتجد صلاح فضل يعرّف السيميائيات بأنها: «العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدّالة وكيفية هذه الدلالة»[2].

وقد تكتسب العلامة دلالتها من خلال اختلافها عن العلامات الأخرى «وهذا الاختلاف هو الذي يولد إمكانية وجود مجتمع لغوي»[3].

ويقول "إيكو" عندما أقول "بدراسة العلاقة" فإني أقصد كل أنواع العلامات وكل أنواع السيميائيات، أي ليس العلامة اللغوية فقط، وإنما أيضًا العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة الاجتماعية، فاللباس، ونظام الأزياء أو الموضة السائدة في مجتمع ما، تشكل علامات وأنظمة علامات تختلف من مجتمع إلى آخر، مثل آداب التحية في اليابان، علامات الزواج وتقاليده، نظام المطبخ، وإشارات المرور، كل هذا يشكل علامات وإشارات ودلالات[4].

---

(1) سعيد بنكراد، سيميولوجيا الشخصيات السردية، مجدلاوي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 57.

(2) عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، د ط، السودان، 2003م، ص 19.

(3) بول كويلي ليتساجانز، علم العلامات، تر: جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، القاهرة، مصر، ع 549، 2005م، ص 20.

(4) ميشال أريفيه، جان كلود جيرولوي، باينه جوزيف كورتاس، السيميائية الأصول، القواعد والتاريخ، ترجمة: رشيد بن مالك، مراجعة عز الدين مناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2002م، ص 26.

وعليه فإنّ السيميولوجيا هو العلم الذي يتكفل بدراسة أنظمة العلامات فيحاول أن يتعرف على علتها وكينونتها وعلاقتها بغيرها من العلامات، فهو يهتم بالنص في حد ذاته بغض النظر عن كل ما هو خارجي[1].

ومع كثرة التعاريف وتباينها إلاّ أنها تصب في كون السيميائيات علم يدرس نظام العلامات ويبحث في القوانين والعلاقات التي ترتبط بدلالاتها.

2- اتجاهات السيميائية:

تعد السيميائية تخصصًا معرفيًا حديثًا، فهي وليدة القرن العشرين، وكانت مزدوجة النشأة بين "شارل سانرس بيرس" (1839-1914)، و "فرديناند دي سوسير" (1857-1913)، والكثير من الدارسين يشهدون بأسبقية "بيرس" في هذا المجال وتفوقه عن نظيره "دي سوسير"، فهو ينقطع طول حياته عن تكوين نظريته حول العلامات حتى وهو يهتم بموضوعات أخرى، لقد وضع أولى صياغتها في عامي 1867 و 1868[2].

وبعدها قام بالتقعيد للمظهر الذرائعي إلى آخر حياته، أمّا "دي سوسير" فقد كانت إشارته إلى هذا العلم «في الدرس الثاني من دروس اللغة عامي (1908) و (1909)»[3]. ومن هنا فإنه أمر مؤكد على أسبقية سيميوطيقا "بيرس" على سيميولوجيا "سوسير".

ويمكن أن نجمل اتجاهات السيميائية وتنوعها في المخطط التالي:

---

(1) ملاس مختار، دلالة الأشياء في الشعر العربي، عبد الله البردوني نموذجًا، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، ص 13.

(2) جيرارد ولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، ط 1، اللاذقية، سوريا، 2004م، ص 41-42.

(3) المرجع نفسه، ص 42.

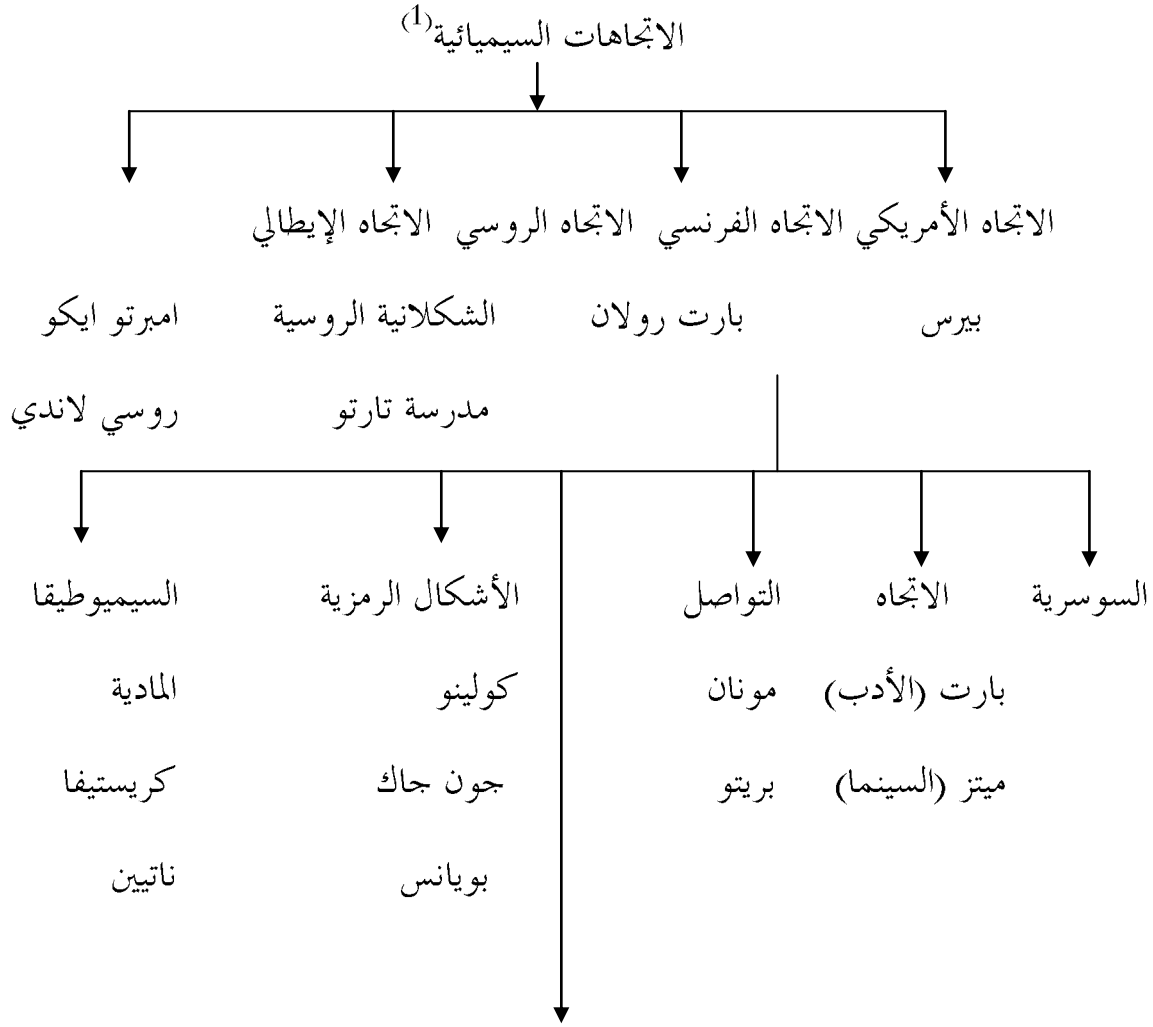

ومن خلال المخطط يبدو الاختلاف بين الباحثين في تفريغ السيميائية، ورغم ذلك التباين فقد انتظمت تحت تياران رئيسيان هما [2]: الاتجاه السوسيري، والاتجاه السيرسي (الاتجاه الفرنسي والاتجاه الأمريكي).

(1) نقلا عن خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، د ط، السودان، 2003م، ص 29.

(2) إبراهيم صدفة، السيميائية، مفاهيم، اتجاهات وأبعاد، الملتقى الوطني الأول، السيمياء والنص الأدبي، د ط، ص 64.

أ- الاتجاه الفرنسي : ويمثله "فيرديناندي سيوسير"، يتجه إلى مفهوم السيميولوجيا، فقد ذكر "سوسير" في الفصل الثالث من كتابه "علم اللغة العام" تفسير المفهوم السيميولوجيا، ووذلك في قوله: «اللغة نظام من العلامات " System of signs" التي تعبر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظم بنظام الكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق، أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة والعلامات العسكرية، أو غيرها من الأنظمة، ولكنه أهمها جميعًا، ويمكننا أن نتصور علمًا موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزء من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم العلامات "Semiology"»[1].

إذ يؤتكز "سوسير" في اتجاهه على تجاوز النظرة القائمة على ثنائية الشكل والجوهر إلى فكرة الدليل اللساني، الذي هو نتيجة علاقة اعتباطية بين الدّال " Signifiant" والمدلول "Signifie"، لأنّ موضوع السيميائية: «هو دراسة الأنظمة المؤسسة على اعتباط الدليل لأنّ هذه الإعتباطية هي التي تمنحها الفكرة على توجيه الدّال نحو مدلولات متعددة»[2].

والملاحظ من اتجاه "سوسير" أنّه جعل من السيميولوجيا إطارًا عامًا لمختلف النظم العلمية الثانوية، لأنّ اللغة تبقى أهم الأنظمة، ومن خلالها نؤسس علمًا يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية على حد قوله.

ب- الاتجاه الأمريكي: ويمثله "شارل سندرس بيرس" (1839-1914)، والذي يستخدم مصطلح السيميوطيقا، وهو يعني صراحة السيميوطيقية على أساس المساواة بين السيميوطيقا والمنطق، وبالتالي فإنّ السيميوطيقا ترمي إلى صياغة قواعد تجنب الفكر من الوقوع في الخطأ، أي (التمييز بين الدلائل الحقيقية والدلائل المزيفة التي ينبغي إقصاءها.

---

(1) عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، مرجع سابق، ص 16.

(2) مارسيلو داسكال، تر: حميد لحميداني وآخرون، الاتجاهات السيميولوجية، طبعة إفريقيا الشرق، د ط، 1987م، ص 33.

والسيميوطيقا عند "بيرس" تدرس كل الأنساق بما فيها العلوم كلها أي النشاط الرمزي الأكثر تعقيدًا، وبالتالي تدرس ما هو كائن، وما يمكن أن يكون سعيًا منها إلى احتواء كل العلوم.

ومن ثمة فإنّ "بيرس" قام ببناء صرح النظرية السيميائية بنفسه، حيث قال: «لم يكن بوسعي أن أدرس أي شيءٍ: رياضيات، الأخلاق، الميتافيزيقا والبصريات وعلم الفلك و...، والرجال والنساء والخمر إلاّ دراسة سيميائية»[1].

بمعنى أنّ سيميوطيقا "بيرس" تقوم على خلفيات فلسفية تستمد أصولها من المنطق والرياضيات والظاهرتية.

ج- الاتجاه الإيطالي : مثله كل من "روسي لاندي" و "امبرتو إيكو"، وغير بعيد من الاتجاهين المتفرعين (أي سيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الدلالة)، وعن الاتجاهين الأصليين (اتجاه سوسير واتجاه بيرس)، ظهر اتجاه سيميولوجيا الثقافة، وهو يستفيد من الفلسفة الماركسية ومن فلسفة الأشكال الرمزية لكاسير خاصة في كل من روسيا (يوري لوتمان، افانوف، أوسباسكي، تودوروروف...)، وإيطاليا (روسي لاندي، وامبرتو إيكو).

فسيميولوجيا الثقافة تنطلق من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساق دلالية، والثقافة عبارة عن إسناد وظيفة للأشياء الطبيعية وتسميتها، وهي بذلك تكون مجالاً لتنظيم الأخبار في المجتمع الإنساني، إذا ترسخ التجارب السابقة وتلعب دور البرنامج وتشتغل كتعليمات.

فالتداخل بين السيميائييات وحقول الثقافة يشمل القوانين التي تنظم تدوال الدلالات، فالسنن الثقافية هي الكفيلة بتوجيه عملية التلقي والتأويل ليس هذا فحسب، بل هناك تماهيا بين حدودهما: «إذ ربط الناقد الإيطالي "امبرتو إيكو" بين الوحدة السيميائية " Semioticuait"، والوحدة الثقافية "Culturalunit"التي يمكن أن تحقق استقلالاً نسبيًا يتيح إدراكها من خلال سياقها

(1) آن إينو وآخرون، السيميائية، الأصول، القواعد والتاريخ، تر: رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للنشر والطباعة، ط 1، 2008م، ص 31

الثقافي، وقد تكون هذه الوحدة مكانًا أو رغبة أو شعورًا...، شريطة ان تكون ضمن نظام متكامل»[1].

وهكذا فالثقافة نسق مكون من عدّة انساق (لغات طبيعية واصطناعية، وفنون وديانات وطقوس...) وكل نسق من هذه الأنساق ليس نسقًا تواصليًا فحسب، وإنما هو نسق مندمج للعالم.

ولهذا يصبح كل نسق ثقافي نسقًا تواصليًا بما أنّ الموضوع الثقافي قد صار المحتوى الممكن لأية عملية تواصلية، ويعني هذا أنّ قوانين التواصل هي قوانين ثقافية.

وبالتالي سيمياء الثقافة تنطلق من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساق دلالية، أي أنّ الثقافة تمثل نظامًا رمزيًا، «فكل علامة سيميولوجية تمثل دلالة ثقافية»[2].

وقد صنف "بيرس" الإشارات إلى ثلاث أنواع بناء على العلاقة بين الدّال والمدلول وهي[3]:

– **الأيقونة "Icon"**: هي العلامة التي تشير إلى الموضوعة التي تعبر عنها عبر الطبيعة الذاتية للعلامة فقط، وتمتلك العلامة هذه الطبيعة سواء وجدت الموضوعة أم لم توجد.

– **المؤشر "Index"**: هو علامة نشير إلى الموضوعة التي تعبر عنها تأثرها الحقيقي بتلك الموضوعة، والمؤشر يقوم بالدلالة بصفته متأثرًا بالموضوعة، فالمؤشر يتضمن إذن نوعًا من الأيقون مع أنه أيقون من نوع خاص، فليست أوجه الشبه فقط هي التي تجعل من المؤشر علامة، وإنما التعديل الفعلي الصادر عن الموضوعة هو الذي يجعل من المؤشر علامة.

(1) هيثم سرحان، الأنظمة السيميائية، دراسة في السرد العربي القديم، دار الكتاب الجديد، القاهرة، ط1، 2008م، ص 267.
(2) مارسيلو داسكال، تر: حميد لحميداني وآخرون، الاتجاهات السيميولوجية، طبعة إفريقيا الشرق، 1987م، ص 05.
(3) ميشال اريفي، السيميائية، مرجع سابق، ص 32.

– **الرمز " Symbol"**: وهو علامة تشير إلى الموضوعة التي تعبر عنها —عرف– غالبًا من يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعته، فالرمز إذن نمط أو عرف، أي أنه العلامة العرفية لهذا فهو يتصرف عبر نسخة مطابقة، ويتضمن الرمز نوعًا من المؤشر من نوع خاص.

إنّ موضوع سيميوطيقا "بيرس" «هو الدلائل أو النسق السيميوطيقي، بما هو نسق ترميزي يتحقق بواسطته التواصل، وليس موضوعها الأشخاص الشارحين، لأنّ في ذلك تركيز على غير النسق السيميوطيقية»[1].

وبهذا يمكن القول أنّ أعمال "سوسير" حظيت بالانتشار الواسع بحكم انتشار اللسانيات، إلاّ أنّ أعمال "بيرس" ظلت مجهولة و لم تنتشر إلاّ وسط محدود من الباحثين، بالإضافة إلى هذه الاتجاهات.

د– الاتجاه الروسي: عرفت السيميائية ازدهارًا كبيرًا بين أحضان الشكلانيين الروس، الذين استمر مذهبهم حيًا منذ سنة 1915م إلى سنة 1930، والذي عمل على ظهور هذا المذهب الشكلاني تفشي الأزمة المنهجية التي تميز بها الأدب الروسي لهذا العهد، إذ كان خاضعًا إلى هيمنة النقد الاجتماعي الإيديولوجي، خضوعًا قاده إلى درب مسدود، وقد انطلقوا من مبدأين اثنين هما[2]:

الأول لخصه "جاكبسون" حين ألح على أنّ موضوع علم الأدب هو الأدبية وليس الأدب الشيء الذي يحصر الاهتمام في النص لا غير، والثاني رفض ثنائية الشكل والمضمون وإعطاء الأهمية للشكل.

والشكلانية الروسية تقوم على أطروحتين أساسيتين هما:

– الشديد على الأثر الأدبي وأجزائه المكونة.

– الإلحاح على استقلال علم الأدب.

---

(1) مارسيلو داسكال، مرجع سابق، ص 05.

(2) محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، ط1، 1987م، ص 60.

«وقد رفعت الشكلانية الروسية أساسًا مبدأ محايثة " Immanenece" النص الأدبي ضمن مقاربة بنيوية، وأخذت على عاتقها مهمة علمنة الدراسة الأدبية»[1].

(1) يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007م، ص 68-70.

تعددت الدراسات القائمة بالشخصية، فاختلفت في تحليلها واكتشاف خباياها، وكل هذا الاهتمام راجع إلى أهمية الشخصية ودورها الفعّال في نجاح العمل الأدبي وركيزة من ركائز العمل السردي، وعنصرًا مشاركًا في صنع الأحداث، وتؤثر الشخصية في الحدث وتتأثر به، كما أنها تخلق لنفسها علاقة تكاملية مع الزمان والمكان، من خلال منحها المعنى والقيمة.

1- مفهوم الشخصية:

أ- لغــةً:

جاء في معجم لسان العرب أنّ: «الشخص: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص»[1].

أمّا في معجم الوسيط في مادة (شَخَصَ): «(شخص) الشيء ضخوصًا: ارتفع وبدى من بعيد، والسهم: جاوز الهدف ... (شَخُصَ) فلان، شَخَاصَة: ضخم وعظم جسمه فهو شخيص وهي شخصية»[2].

كما جاء في قاموس المرام في المعاني والكلام: «الشخص: [ج أشخاص، أشخص وشخوص] الإنسان المطلق»[3].

والشخصية في القصص التخييلي على أنها: «كائنًا ورقيًا متخيّلاً ولكونها مجرد دور أو فاعل»[4].

وأيضًا الشخص في قاموس السرديات: «مجموعة العلاقات القائمة بين الراوي والمروي له والقصة المروية»[5].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، م7، دار صادر، بيروت، لبنان، ط13، 1997م، ص 45.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، دار الدعوة، ج1، اسطنبول، تركيا، ص 475.

(3) مؤنس رشاد الدين، المرام في المعاني والكلام، القاموس الكامل، دار راتب الجامعية، ط1، 2000م، ص 30.

(4) مجموعة مؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي، مؤسسة الإبتكار العربي، تونس، بيروت، ط 1، 2010م، ص 270.

(5) جيرالدبرس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميرتب للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص 146.

وهم أقطاب العملية السردية التي تلعب فيها الشخصية دور المحرّك للأدوار داخل هذه العملية بخلق علاقات متنوعة.

وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[1].

وكذلك في قوله عزّوجل: ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2].

ب- اصطلاحًا:

حظيت الشخصية باهتمام كبير من قبل الدّارسين، فهي من أهم مكونات العمل الروائي، إذ تحيل إلى «القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي يرتكز عليه»[3].

ويعرفها "عبد المالك مرتاض" بأنها: «كائن حركي حي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكونه (...) ويختلف الشخص عن الشخصية بأنه الإنسان، لا صورته التي تمثلها الشخصية في الأعمال السردية»[4].

أمّا "حميد لحميداني" فيعرف الشخصية على أنها دال ومدلول وتكون دالاً «من حيث أنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها».

وتكون الشخصية مدلولاً بـــ «مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص أو بواسطة تصريحاتها، وأقوالها، وسلوكها»[5].

---

(1) سورة إبراهيم، الآية 42.

(2) سورة الأنبياء، الآية 97.

(3) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000م، ص 20.

(4) عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدن"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص 126.

(5) حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1991م، ص51.

وكذلك الشخصية: «هي مجموعة من القيم الدلالية لتشكلها ككيان وتتشكل عبرها كبنية دلالية كبرى تعود بنا من جديد إلى ما تم تسنينه من خلال فعل إنساني سابق، وبعبارة أخرى تتحدد الوقائع الملموسة كذريعة توصل ما هوا متحقق بالحد اللامرئي للقيم»[1].

والشخصية الروائية تتجلى عبر أفعالها الأحداث: «وتتضح الأفكار وتتخلق من خلال شبكة علاقاتها حياة خاصة تكون مادة هذا العمل»[2].

وبهذا تعتبر كائنًا ورقيًا يتحلى بصفات الكائن الحي، من أفكار وقدرة على القيام بأفعال.

وعليه يمكن تعريف الشخصية على أنها مكون لساني لغوي، ذات تجسيد ورقي، لا علاقة له بالواقع مهما تشابه وتتطابق مع شخوصه.

وإضافة إلى هذا، فالشخصية هي مجموع الصفات الجسدية (الملامح، الطول، الجمال والقبح...)، بالإضافة إلى صفات داخلية نفسية إيديولوجية (شرير، طيب، متفتح، منغلق)، فهي «صورة تخييلية، استمدت وجودها من مكان وزمان معينين، وانصهرت في بنية الكاتب الممزوجة بموهبته متشكلة فوق الفضاء الورقي الأبيض»[3].

2- مفهوم الشخصية في النقد السيميائي

التفت المحدثون إلى البنية الداخلية للشخصية فاهتموا بعالمها الداخلي وبنوازعها، وأفكارها، لتتحول إلى شخصية محسوسة، من خلال ردود أفعالها ومواقفها، مبتعدين بذلك عن المظهر الجسدي

(1) سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائات الإيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1996م، ص 94-95.

(2) بؤي حمزة عباس، سرد الأمثال، دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003م، ص 129.

(3) أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م، ص 35.

الذي «لم يعد إلاّ سقط متاع متروك في خزانة التاريخ» [1]. متجهين إلى تشكيل عالم الشخصية النفسي الذي يتيح للقارئ تلمس كل ملامح الشخصية الأخرى، فأصبحت الشخصية الحديثة لا تمثل إلا نفسها.

أ- الشخصية عند فلاديمير بروب

يعد كتاب مورفولوجيا الحكاية الخرافية لـــ "فلاديمير بروب" الذي أصدره سنة 1928م، نقطة تحوّل كبير والذي تمحور حول البناء الهيكلي للحكاية العجيبة وقد شكل هذا الكتاب قطيعة مع تقليد نقدي، والذي قدم فيه "بروب" نموذجًا تحليليًا لمائة حكاية عجيبة، واعتبره صالحًا لتحليل الحكايات دون استثناء، محوّلاً الشخصيات إلى مجرد وحدات تقدم بتجسيد الأفعال التي تكوّن مجرى الحكاية، مهتمًا بذلك بالشكل على حساب المضمون، لاحظ "بروب" أنّ الحكاية تحتوي على عناصر ثابتة، وأخرى متغيرة، فالثابت هو الأفعال، وقد أطلق عليها اسم الوظائف، أمّا المتغير فهو الشخصيات أسماء وصفات ولتوضيح ذلك قدّم لنا الأمثلة التالية[2]:

1- الملك يعطي أحد الشجعان نسرًا، يحمل النسرُ الشجاع إلى مملكة أخرى.

2- الجد يعطي "سوتشينكو" حصانًا، يحمل الحصانُ "سوتشينكو" إلى مملكة أخرى.

3- أحد السحرة يعطي "إيفان" زورقًا، يحمل الزورق "إيفان" إلى مملكة أخرى.

4- المملكة تعطي "إيفان" خاتمًا، يخرج من الخاتم رجال أشدّاء يحملون "إيفان" إلى مملكة أخرى.

وهذا ما جعل "بروب" يهمل العناصر التي ليست لها علاقة بتلك الأفعال، وأكد أنّ ما يهم في الحكاية هو «معرفة ما تقوم به الشخصيات، هو السؤال الوحيد المهم في دراسة القصة، وأمّا من يقوم بالشيء وكيف يقوم به، فإنما أسئلة لا تطرح إلاّ بشكل ثانوي»[3].

---

(1) عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، الهرم، مصر، 2009م، ص 68.

(2) فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، سوريا، 1996م، ص 37.

(3) فلاديمير بروب، مرجع سابق، 37.

أطلق "بروب" مصطلح الوظيفة على «ما تقوم به الشخصية من فعل محدد من منظور دلالته في سير الحكاية، وهي العناصر الثابتة الدائمة في القصة، هي وظائف الشخصيات أيًّا كانت هذه الشخصيات، وأيًّا كانت الطريقة التي تُؤدى بها هذه الوظائف»[1].

ويمكن إعطاء عدة ملاحظات على هذه الوظائف منها:

- الوظائف هي الوحدات الأساسية المكونة للحكاية.

- عدد الوظائف التي تتضمنها الحكاية الخرافية محددة.

- الوظائف تتبع مسارًا واحدًا.

- تتوحد بنية كل الحكايات الخرافية في نموذج واحد.

حدد "بروب" الوظائف بـــ 31 وظيفة ثابتة في جميع الحكايات، إلاّ أنه لا يشترط وجودها جميعًا في الحكاية الواحدة، وأقرَّ بإلزامية ترتيبها وتتابعها الواحدة تلوى الأخرى، فلا تتقدم وظيفة عن سابقتها مهما كان.

أمّا الشخصيات فحصرها في دوائر الأفعال التي تقوم بها، وتحتوي كل دايرة مجموعة من الوظائف، بمعنى أنّ كل شخصية تستطيع أن تنجز أكثر من وظيفة، كما قد تشترك عدة شخصيات في وظيفة واحدة، وقد أجملها في سبعة حقول كما يلي[2]:

1- حقل عمل المعتدي (الشرير): يحتوي على الإساءة (A)، المعركة وأنواع الصراع الأخرى ضد البطل (H)، والمطاردة (rp).

2- حقل عمل المانح: ويحتوي على التحضير للأداة السحرية (D)، وضع الأداة السحرية تحت تصرف البطل (F).

3- حقل عمل المساعد: ويحتوي تنقل البطل من الفضاء (G)، إصلاح الإساءة أو سد الحاجة (K)، النجدة أثناء المطاردة (Rs)، إنجاز المهمات الصعبة (N)، وتجلي البطل (T).

---

(1) المرجع نفسه، ص 98.

(2) المرجع السابق، ص 97-98.

4- حقل عمل الأميرة وأبيها: ويحتوي على طلب القيام بمهمات صعبة (M) الوسم بعلامة (J)، اكتشاف البطل المزيف (Ex)، التعرف على البطل الحقيقي (Ø) معاقبة المعتدي الثاني (U)، والزواج (W).

5- حقل عمل الطالب: لا يحتوي إلاّ على إرسال البطل (مرحلة الإنتقال B).

6- حقل عمل البطل: يحتوي على الرحيل، رد الفعل على مطالب المانح (E)، والزواج (W).

7- حقل عمل البطل المزيف: يحتوي بدوره على الرحيل من أجل البحث، ورد الفعل السلبي دومًا على مطالب المانح (Eneg)، ووظيفة نوعية هي الإدعاءات الكاذبة (L).

هذه الوظائف يمكن تعميمها على كافة الحكايات الخرافية لمختلف الثقافات والمجتمعات، لا على الخرافات الروسية فقط: «فوظائفية "بروب" هي وظائفية تصلح أن تكون أنموذجًا فعالاً في دراسة فن الخرافة»[1].

إنّ تركيز "بروب" على الوظائف باعتبارها اللبنات الأساسية في الحكاية الخرافية وإهمال القائم بالحدث (الشخصية) يعتبر تقدمًا في المنهج السيميائي، إذ حوّل الأحداث والأفعال إلى علامات دالة في كل أنواع الحكاية الخرافية كونها مفتاح تحليل كل متون تلك الحكايات «فكل وظيفة علامة تدل على مجموعة دلالات يجمع بينها الفعل النهائي لذلك الحدث»[2].

وقد قدم "بروب" قراءة لنموذجه الوظائفي وفق مستويين: «المستوى العمودي وتمثل في الوظائف الإحدى والثلاثين، والمستوى الأفقي يتمثل في توزيع الشخصيات على أدوار» [3]، وبهذا فهو يحذف الشخصية الجسدية ليحل مكانها شخصية روحية معنوية.

(1) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2013م، ص 62.

(2) المرجع نفسه، ص 64.

(3) محمد فليح الجبوري، المرجع السابق، ص 64.

إنّ رغبة "بروب" في الفصل بين الشخصية والوظيفة قد باءت بالفشل «فلا يمكن فصل الوظائف والشخصيات عن بعضها لأنها في علاقة متبادلة دومًا، بحيث يتحكم أحدهما في الآخر»[1].

ظهرت «خصوبة نظرية "بروب" في كتابات الآخرين الذين ساروا في طريقه»[2]. فعدّت قاعدة أساسية استخدمت فيما بعد كبدايات ودعامات لنظريات أشمل لمن جاء بعده.

نستنتج مما سبق أنّ ما قام به "بروب" هو محاولة الفصل بين الحدث والشخصية، حيث سعى إلى تعريف الخرافة من خلال ترتيب تسلسل الأحداث، إلاّ انه اضطر في تعريف تلك الأحداث بإسنادها إلى الشخصيات، موزعًا إيّاها على سبع دوائر مختزلاً بذلك الأحداث ومهمشًا لمفهوم الشخصية ومكانتها.

ب- الشخصية عند فيليب هامون

قدم "فيليب هامون" " Philippe hamon" في كتابه "سيميولوجية الشخصيات" الروائية تصورات رائدة للشخصية، فالشخصية عنده مقولة سيكولوجية تحيل على مكان حي حركي يمكن التأكد من وجوده في الواقع.

وقد عرف "فيليب هامون" الشخصية فيما يلي: «الشخصية مورفيم فارغ»[3]، أي بياض دلالي لا تحيل إلاّ على نفسها، انها ليست معنى قبليًا كليًا، فهي تحتاج إلى بناء تقوم بانجازه الذات المستملكة للنص زمن فعل القراءة، هذا المورفيم الفارغ «يظهر من خلال دلالة متواصلة ويحيل على مدلول متواصل»[4].

فالشخصية من هذا المنطلق هي علامة لا تكتمل إلاّ باكتمال النص وهذه العلامة لا تحيل على نفسها وهي ليست جاهزة سلفًا وإنما تحول إلى دليل ساعة بناءها نصيًا، وهنا يأتي دور القارئ، ويعطي فعالية جديدة بما يمتلكه من رصيد ثقافي ووعي فكري في العملية الإبداعية.

---

(1) دالاس مارتن، نظريات السرد الحديث، تر: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، مصر، 1998م، ص152.

(2) المرجع نفسه، ص 122.

(3) فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، ط3، 1990م، ص 09.

(4) مجلة الثقافة: العدد 115، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1997م، ص 139.

وقد ميز "هامون" بين ثلاث فئات من الشخصيات، وهي:

- الشخصيات المرجعية:

تتحدد الشخصية وفق هوية محددة ووفق إطار زماني ومكاني معنيين، فهي تحيل إلى واقعية العالم الخارجي، أو على مفهوم بنيوي، ويرى "فيليب هامون": «أنّ الشخصيات التاريخية مثل نابليون والشخصيات الأسطورية مثل فينيس تحيل على معنى ممتلئ وثابت محدد ثقافيًا، كما يحيل على برامج وأدوار محددة ترتبط قرائيًا بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثقافة لأنّ اندماجها داخل ملفوظ معين يجعل منها نقطة إرساء مرجعية تحيل على النص الكبير للإيديولوجيا»[1].

وعلى هذا الأساس فالشخصية المرجعية تدرك من خلال العناصر المميزة لها، والتي تسهم في إضاءة الفترة الزمنية التي ظهرت فيها والتي يرتكز عليها القارئ لتحديدها حسب مستوى درجة ثقافته.

- الشخصية الإشارية:

هذه الشخصيات تشير إلى التلفظ، وتحدد من ذلك تموقعها داخل الخطاب، وهذا النوع يحدده الكاتب، فتكون دليل حضور المؤلف أو القارئ أو من ينوب عنهما في النص: شخصيات ناطقة باسمة، أو شخصيات عابرة، رواة أو محدثون، أو كتاب أو ما شابههم، ويكون من الصعب أحيانًا الإمساك بهذه الشخصيات هنا أيضًا، ولأنّ الإبلاغ يمكن تعليقه (النصوص المكتوبة) تتسرب آثار تشويشية مختلفة أو عمليات تقنيع لتخل بإمكانيات فك مباشر لرموز معنى يعود إلى شخصية معينة[2].

وبهذا فإنّ الشخصية الإشارية هي دليل حضور القارئ الذي يحاول قراءة هذه الشخصية بالمفترضات والسياق، ويعبد صياغة المسرود بالتركيز على ثنائية "أنت عكس أنا".

ويقصد بدليل حضور المؤلف أو القارئ مثل شخصية الرسام، الفنان، الكاتب، ويكون من العسير الإمساك بها لأنها تمارس عملية التقنيع.

---

(1) مجلة الثقافة، مرجع سابق، ص 139.

(2) فيليب هامون، مرجع سابق، ص 10.

- الشخصيات الاستذكارية

تحيل على علامات منفصلة من الملفوظ من قريب أو من بعيد، سابق أو لاحق، وإنّ حضور الشخصية الاستذكارية في النص السردي من حيث صيرورة الأحداث يكشف للقارئ عن التقنية التي اتبعها الكاتب على مستوى بنية الشكل الروائي حسب وظيفة هذه الفئة من الشخصيات في تنظيم الوحدات السردية فيقول: «إنّ مرجعية النسق الخاص للعمل وحدها كافية لتحديد هوية هذه الفئة من الشخصيات، إذ تقوم دال الملفوظ بنسج شبكة من الاستدعاءات والتذكيرات مثل استدعاء جزء أو جملة أو فقرة، وتعد هذه العملية بمثابة العلامة التي تستحوذ ذاكرة القارئ، فالعناصر مشهد الاعتراف، التمني، التكهن، الذكرى، الاسترجاع، الصحو، تحديد البرامج، تعد أفضل الصور والصفات لهذا النوع من الشخصيات، إذ يقوم العمل من خلالها بالإحالة على نفسه بنفسه»[1].

فحضور الشخصية الاستذكارية أو الاسترجاعية وغيابها من شأنه أن يشحن ذاكرة القارئ حق يصبح بإمكانه نسج نسق علائقي بين الكاتب والشخصية الاستذكارية، وبين مختلف الشخصيات الأخرى في الرواية.

ج- عند رولان بارت

الشخصية في الرواية أو الحكي عامة، لا ينظر إليها من وجهة نظر التحليل البنائي، إلاّ على أنها بمثابة دليل (Signe) له وجهان أحدهما دال (Signigiant) والآخر مدلول (Signifie)، وهي تتميز عند الدليل اللغوي اللساني من حيث أنها ليست جاهزة سلفًا ولكنها تحول إلى دليل فقط بنائها في النص، في حين أنّ الدليل اللغوي له وجود جاهز من قبل، باستثناء الحالة التي يكون فيها متراحًا عن معناه الأصلي كما هو الشأن في الاستعمال البلاغي مثلاً، وتكون الشخصية «بمثابة دال من حيث أنها تتخذ عدة أسماء وصفات تلخص هويتها، وأمّا كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص أو بواسطة تصريحاتها، وأقوالها وسلوكها»[2].

---

(1) فيليب هامون، مرجع سابق، ص 10.

(2) حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2003م، ص 51.

وقد عرف "رولان بارت" الشخصية بأنها: «نتاج عمل تأليفي»[1]. يقصد أنّ هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم علم يتكرر ظهوره في الحكي.

ونجد بعض الباحثين لجأوا إلى طريقة خاصة في تحديد هوية الشخصية الحكائية، تعتمد محور القارئ لأنه هو الذي يكون بالتدريج –عبر القراءة– صورة عنها ويكون ذلك بواسطة مصادر إخبارية ثلاثة:

- ما يخبر به الداوي.
- ما تخبر به الشخصيات ذاتها، ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات.

يترتب هذا التصور أن تكون الشخصية الحكائية الواحدة متعددة الوجوه، وذلك بحسب تعدد القراء واختلاف تحليلاتهم.

«يعتبر البنائيون هذا ميزة من مزايا التحليل الذي يأخذون به لأنه في نظرهم يجعل الحكي غنيًا بالدلالات ما دام يرفض النظرة الأحادية التي تقترحها المناهج التقليدية ذات الأساس الاجتماعي أو السيكولوجي»[2].

د– عند غريماس:

انطلق "غريماس" في تحديده للشخصية من حيث انتهى "بروب" مستندًا في ذلك إلى جملة آرائه التي توصب إليها، فوضع أنموذجًا عامليًا نسب إليه يقوم على ستة عوامل هي: مرسل، مرسل إليه، موضوع، ذات، مساعد ومعارض، وتؤلف هذه العوامل ثلاث علاقات:

- علاقة الرغبة "Relation de desir"
- علاقة التواصل "Relation de communication"
- علاقة الصراع "Relation de lutte"

(1) حميد لحميداني، بنية النص السردي، مرجع سابق، ص 50.

(2) Roland Barthes et real auellet: L'univers du roman, 1981, P 181.

من هذه العوامل والعلاقات نحصل على الصورة المكتملة للأنموذج العاملي عند "غريماس"، وقد اعتمد في إبراز هذه العوامل على الجانب الدلالي للشخصية، هذا البعد الذي وجدناه غائبًا في آراء "بروب"[1].

وقد ميز "غريماس" بين العامل والممثل فقدم في الواقع فهمًا جديدًا للشخصية في الحكي، هو ما يمكن تسميته بالشخصية المجردة، وهي قريبة من مدلول الشخصية المعنوية في عالم الاقتصاد، فليس من الضروري أن تكون الشخصية هي شخص واحد.

إنّ العامل في تصور "غريماس" يمكن أن يكون ممثلاً بممثلين متعددين كما أنه ليس من الضروري أن يكون العامل شخصًا ممثلاً، فقد يكون مجرد فكرة، كفكرة الدهر أو التاريخ، وقد يكون جمادًا أو حيوان... «وبهذا تصبح الشخصية مجرد دور ما يؤدي في الحكي بغض النظر عمن يؤديه»[2].

«وانتهج غريماس طريقة خاصة في التحليل يتلخص في ثلاث امتحانات هي:

- الامتحان التأهيلي: يحصل الفاعل على الكفاءة اللازمة لفعل السرد.
- الامتحان الحاسم: يتمثل سعي الفاعل للبحث عن الغرض وقد يصل إليه أخيرًا.
- الامتحان التمهيدي: حصول الفاعل على غرضه ليعترف له بهذا الفعل ويجاز عليه»[3].

ويرى "غريماس" أنّ الشخصية مؤسسة، فكل شخصية مهما كانت فهي تحدد أو تصور من خلال الإنسان، والحكاية هي تحقيق لمقولة مجردة تبنى على نظام العوامل وتنظم بشكل هرمي عامل، ممثل، دور، وتقوم بينهما علاقة فصل ووصل ويميز بين العامل والممثل فقد يحقق الممثل مفهوم العامل وقد يتخذ صفات وملامح تقترب من الشخص الواقعي.

---

(1) حميد لحميداني، بنية النص السردي، المرجع السابق، ص 33.

(2) Greimas, Sémantique structurale, 1986, P 181.

(3) جمال كديك، السيميائيات السردية، النمط السردي والنوع الأدبي، مجلة السيميائيات والنص الأدبي، 1995م، ص 53.

- الممثل: "Acteur" لاعب دور في القصة: الممثل عند "غريماس" هو: «وحدة لغوية من نوع الأسماء التي تكتب في الحوار، ومحتمل أن تكتسب في وقت انفعالها استثمارات ماضية ومحتواها يتضمن خاصة في ميدان الفرد الذي يظهر بشكل مستقل»[1].

- العامل: "Actant" لاعب دور حركة ما «يرى غريماس بأنه يشير إلى أسلوب الوحدة أي معبرًا عن الذات فالتمثيل (Actant) يجسد فصل من التمثيلية (Acte)»[2].

وقد ميز "غريماس" داخل الخطاب المتلفظ به بين نوعين من العوامل:

- عوامل التواصل: وهي خاصة بالكلام المتلفظ به، وهي الراوي، المروي له، والمتكلم والمخاطب[3].

- عوامل السرد: وهي الفاعل والموضوع والمرسل والمرسل إليه، ولا تخلو العلاقة بين العامل والممثل من أحد الاحتمالين، فإمّا أن تقوم على الاتصال ويرمز إلى هذه العلاقة: «العلاقة بالعلامة Ω وأمّا عن الانفصال ويرمز إليه بالعلامة U»[4].

فما يمكن استنتاجه على الشخصية في اصطلاح "غريماس" أنها استبدلت لمصطلحي العامل والممثل، العامل هو الوظيفة حسب تعريف "بروب" وهو بؤرة التوتر الملفوظ السردي.

3- أهمية الشخصية الروائية:

تعد الشخصية من أهم بنيات العمل السردي الفني، نظرًا لقدرتها على ترجمة مكامن الذات الإنسانية، ونقلها في صورة جمالية وتجسيد الواقع وتمثيل سلبياته وإيجابياته. فالشخصية موضوع آثار اهتمام الكثير من كافة طبقات المجتمع من شعراء وكتّاب وفنانين ورجال دين وسياسة، وقانون وتجارة وعلماء في مختلف المجالات، بالإضافة إلى عامة الجمهور والمثقف وكل إنسان يرغب في فهم نفسه بالصورة السليمة الصحيحة، حتى يعيش في سلام وهدوء في مجتمعه.

(1) إبراهيم الكوني، سيميائيات الشخصية في رواية "عشب الليل"، مقاربة سيميائية، 2005م، ص 24.
(2) المرجع نفسه، ص 25.
(3) وردة معلم، الشخصية في السيميائيات السردية (أعمال الملتقى الوطني الرابع)، 2006م، ص 316.
(4) توفيق الزيدي، مشكلة الدراسة، الدار العربية للكتاب، 1993م، ص 41.

«ومهما حاولت بعض الدراسات أن تقلل من شأن الشخصية في البنية الحكائية للأعمال فإنها ستظل أساسًا من الأسس التي تقوم عليها الخطابات»[1].

انطلاقًا من هذا نستشف أهمية الشخصية في البناء الفني، فما أن نبدأ الحديث عن النص حتى نتحدث عن الشخصية، فهي بهذا المعنى تمثل نبض النص الروائي وديناميته المستمدة التي لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها وهذا ما أكده "رولان بارت" بقوله: «يمكننا أن نقول أنه ليس ثمة قصة واحدة في العالم من غير شخصيات»[2].

"فبارت"يؤكد على أنه لا يوجد أي شكل قصصي خالي من الشخصية، فهي العصب الذي تقوم على أساسه الأشكال السردية.

أمّا العرب فنجدهم يخلطون بين مصطلحي الشخصية والشخص على اعتبار أنّ مفهوم الشخصية –عندهم– كان وليد أوضاع لغوية معينة بعيدة كل البعد عن مباحث النقد والسرد، وقد تضاربت الآراء حول هذا المفهوم، ولكن ما يهمنا بحق هو نظرة السيميائيين لهذه البنية فحسب، منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان إلاّ لا يسوق القاص أفكاره منفصلة عن محيطها الحيوي، فلا مناص من أن يحي الأفكار في الأشخاص[3].

ويتجلى دور المؤلف الروائي في نقل التجارب والأفكار والقيم الإنسانية، وتجسيدها في صور الشخصيات، ودلالاتها ومرجعياتها ويكون ذلك بإضفاء نوع من الخيال عليها فتقدم لنا صورة مصغرة للعالم.

وقد تبوأت الشخصية موقعًا هامًا في العمل الفني –لاسيما– في الرواية التقليدية، وذلك في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى الجمالية، وكان ذلك عهدًا ذهبيًا للشخصية الروائية، «إذ

(1) شريبط أحمد شريبط، سيميولوجية الشخصية الروائية، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، ماي 1995م، ص 198.

(2) علي عبد الرزاق جبلي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1984م، ص 249.

(3) غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، القاهرة، ط3، د ت، ص 562.

كانت الشخصية تحاكي الواقع المعيش، إذ يقدمها الروائي، ويرسم ملامحها بدقة وتفصيل، وهو أمر مستند إلى الواقع وأنّ تلك الشخصيات كانت تمثل العالم الخارجي بحق وبصدق»[1].

وإنّ غاية الرواية باعتبارها تعبيرًا فنيًا «هي تجسيد الحياة الإنسانية على نحو أعمق وأخصب، على حين أنّ التشخيص في الرواية يعمل على توصيل معنى العمل الروائي وتحليل نسيجه الاجتماعي»[2].

فعلى هذا الأساس فإنّ الشخصية الروائية هي الوسيلة الوحيدة لذلك، لأنها بمثابة المعيار والمجهر اللذين تفحص بواسطتها نوعية الواقع الاجتماعي الذي يشكل الرقعة التي تختبر عليها مدى مصداقية النظرة الفنية للمبدع، وترجمة تجربته الذاتية، «فالشخصية الروائية، ترسم بحاسة فنية العوامل النفسية المختلفة التي تختلج صدر الراوي»[3].

«لقد تعددت الاتجاهات في النظر إلى موضوع الشخصية، إذ تهدف الاتجاهات إلى التوفيق والتكامل، محاولة لخلق أسس نظرية موحدة يعتمد عليها في وصف نواحي الشخصية المختلفة، وما يهدف إليه علماء النفس المعاصرين هو الكشف عن الحقائق ثم العمل على تحريرها وفصلها عن المادة المتراكمة من المطبوعات التافهة والساذجة، التي كتبت وقيلت في الشخصية على غير أساس علمي موضوعي»[4].

4- أنواع الشخصيات:

تعد الشخصية ذات أهمية كبرى ورئيسة في العمل الروائي، حيث رصدوا حركاتها وسكناتها وتطوراتها، ويستقي الأديب شخصايته من بيئته ومجتمعه توهمًا بواقع الحياة، وهي تبدو مقنعة ولها أصل في الواقع، وتنوع الشخصيات يكون حسب الدور الذي تؤديه عبر مختلف الأحداث.

---

(1) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1997م، ص 54.

(2) روجرب هنكل، قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير، ترجمة وتقديم: صلاح رزق، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص 117.

(3) غالي شكري، الرواية العربية في رحلة العذاب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1971م، ص 13.

(4) حلمي المليحي، علم النفس الشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنضر، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص 13.

أ- الشخصية المسطحة:

حيث تبقى هذه «الشخصية على حالها من البداية إلى النهاية دون أن تتأثر بالأحداث التي تحيط بها»[1].

أي أنها مستقرة الصفات والملامح من أول الرواية إلى آخرها، ولا تتغير أو تتحول، ولا تتفاعل مع الأحداث ولا تتطور معها.

وأيضًا هذا النوع من الشخصية «هو تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة» [2]. أي أنّ هذه الشخصية يمكن القول عنها أنها عديمة التحوّل والتبدل.

«وللشخصية المسطحة دورًا ثانويًا في العمل الروائي، وهذه الشخصية تكون أحادية الجانب وذات سمة واحدة لا تتغير» [3]. فهي تتعب القارئ في الإمساك بدلالتها ومكوناتها، وهذا لا يعني أنها عديمة الأهمية إذ لا يمكن أن تكون الشخصية المركزية إلا بفضل الشخصيات الثانوية.

ب- الشخصية المدورة:

إنّ هذا النوع من الشخصية «هي تلك المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال، ولا تصطلي لها نار، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقًا ما سيؤول إليه أمرها، إنها الشخصية المغامرة الشجاعة المعقدة بكل الدلالات التي توحي بها لفظ العقدة والتي تكره وتحب، وتصعد وتهبط، وتؤمن وتكفر، وتفعل الخير، كما تفعل الشر، تؤثر في سواها تأثيرًا واسعًا»[4].

نفهم من هذا أنّ هذه الشخصية حركتها غير محسوبة (متحوّلة) بحيث يمكن أن تتصف بصفات مختلفة وتقوم بوظائف مختلفة ومتناقضة كفعل الخير والشر.

---

(1) محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994م، ص 45.

(2) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص 101.

(3) عدنان خالد عبد الله، النقد التطبيقي والتحليل، سلسلة كتب شهرية، آفاق، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1986م، ص 67.

(4) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق، ص 99.

وأيضًا الشخصية المدورة هي «الشخصية التي يبذل القاص كل جهده لتصويرها وسبر خفاياها، وبيان صفاتها المتغيرة وسمتها المتعددة وتتمتع بصفات وأبعاد عاطفية وانفعالية وفكرية متعددة»[1].

ويمكن لفت الانتباه إلى أنّ هذين المصطلحين (المسطحة والمدورة) يردان تحت طائفة من المصطلحات الأخرى ويمكن تصورها فيما يلي:

1- المسطحة ← السلبية الثابتة

2- المدورة ← الإيجابية النامية

«والشخصيات السلبية أو السطحية أو الثابتة، هذه المصطلحات الثلاثة تكاد تعني شيئًا واحدًا، كثيرًا ما تتوهج الشخصية المدورة أو ما يعادلها في الاصطلاح النامية الإيجابية»[2].

ج- الشخصية النمطية:

اهتدى لها "لوكاتش" حيث يرى «موضوع العمل الأدبي والهدف الذي يرمي إليه، ونقطة انطلاقه وجوهره الأعمق... كلّ ذلك يعبر من نفسه من خلال السؤال الآتي: ما هو الإنسان؟ وأصبح الاهتمام بهذا الشخص النمط (Le type) التي تجمع بين الخاص الداخلي الذاتي والعام والمجتمع وما يعج به من إشكالات وصراعات» [3]. فهي شخصية تعبر عن مبادئها وعن أفكار فردية كما تعبر عن واقع طبقة اجتماعية معينة.

تتمايز شخصيات العمل الروائي، فهي لا تنتظم ولا تتساوى من حيث فاعليتها ببعضها ومع بعضها، مشكلة بذلك هذا التنوع والذي يعود أصلاً إلى رغبة الكاتب في كيفية خلق شخصياته، فمنها من يمنحها قدرًا كبيرًا من البروز والحركة، ومنها من يمنحها مساحة ورقية كافية لإثبات ذاتها ومنها من تكون غائبة حاضرة، لا تظهر إلاّ من خلال تدخل الكاتب.

---

(1) عدنان خالد عبد الله، النقد التطبيقي والتحليلي، مرجع سابق، ص 68.

(2) المرجع نفسه، ص 102.

(3) إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2002م، ص 152.

5- سيميائية الشخصية الروائية:

تعددت النظرة إلى الشخصية من ناقد إلى آخر ومن عصر إلى آخر، إذ أنّ الشخصية في الرواية التقليدية كانت تعامل ككائن حي له وجوده الفيزيقي، فنجد مجموعة من النقاد يعرفون الشخصية الروائية: «بأنها مثلها مثل الشخصية السيميائية أو المسرحية لا تنفصل عن العالم الخيالي الذي نعتزي إليه بما فيه من أحياء أو أشياء، فلا يمكن للشخصية أن توجد في ذهن على أنها كوكب منعزل بل إنها مرتبطة بمنظومة وبواسطتها هي وحدها تعيش فنيًا بكل أبعادها» [1]. وعلى هذا الأساس يتحدد معنى الشخصية من خلال محورين هما:

أ- مدلول الشخصية:

إنّ مفهوم الشخصية عند "هامون" هي وحدة دلالية باعتبارها مدلولاً متواصلاً قابلاً للتحليل والوصف «ويتولد مدلول الشخصية من الجمل التي تتلفظ بها الشخصية، أو من الألفاظ التي تقال عنها من قبل شخصيات أخرى في النص الروائي»[2].

ومن هنا يصل إلى أنّ الشخصية هي «دائمًا وليدة مساهمة الأثر السياقي ونشاط استذكاري وبناء يقوم به القارئ» [3]. أي أهم ما يحدد مدلول الشخصية هو صفاتها ووظائفها، وحددت هذه الصفات بأربعة محاور هي: «الجنس والأصل الجغرافي والإيديولوجيا والثروة»[4].

أمّا الوظائف فقسمها في ستة محاور تمثلت في: «الحصول على مساعدة توكيل، قبول التعاقد، الحصول على المعلومات، الحصول على متاع، ومواجهة ناجحة»[5].

---

(1) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 206.

(2) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2013م، ص 98.

(3) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، مرجع سابق، ص 36.

(4) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، مرجع سابق، ص 99.

(5) المرجع نفسه، ص 99.

فمجموع هذه الوظائف والصفات هو ما يكوّن مدلول الشخصية بالإضافة إلى علاقة الشخصية مع باقي الشخصيات الأخرى.

ب- دال الشخصية:

تسعى النصوص السردية على تقديم الشخصية وتعيينها على خشبة النص من خلال دال غير متواصل، بمعنى مجموعة من الاشارات المنتشرة التي يسميها "هامون" "سمته"، فهذه السمة «تختلف من كاتب إلى آخر بحسب اختياراته الجمالية والأسلوبية»[1]، ويدخل في دال الشخصية أسماؤها وألقابها التي تختار بعناية، بغية تحميلها دلالات يشارك بها القارئ في اكتشاف أسرارها. هذه الإشارات حصرها "هامون" في عنصرين هما: اسم العلم والضمير النحوي.

فالأول يتعلق بالنصوص المسرودة بضمير الغائب، أمّا الثاني فيتعلق بالنصوص المسرودة بضمير المتكلم، فيقول: «فقد يقتصر المونولوج الغنائي أو السيرة الذاتية على جذر منسجم ومحدود ومن الناحية النحوية (Je, Me, Moi مثلا)، أمّا في حكاية مروية بضمير الغائب، فإنّ السمة تركز على اسم العلم»[2].

وهناك عدة خصائص حددها "هامون" والتي يمكن من خلالها تمييز وتحديد طبيعة العلاقة بين الاسم والشخصية المسند إليها، وهي:

1- تواتر الاسم: بمعنى أنّ الاسم يتميز «بتكراره (علامات شائعة إلى حد معين)»[3].

2- ثباته: «استقراره (علامات مستقرة إلى حد ما)»[4].

3- غناه: سمة واسعة إلى حد ما.

4- درجة تحفيزه في الصلات بين الدّال والمدلول.

---

(1) محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، مرجع سابق، ص 101.

(2) فيليب هامون، سيميولوجية الشخصية الروائية، مرجع سابق، ص 71.

(3) ر. بارت وآخرون، شعرية المسرود، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2010م، ص 124.

(4) المرجع نفسه، ص 124.

يبدأ السرد في رواية "الأرض والدم" من الحاضر الذي يمثل بوابة البداية للولوج إلى فضاء الحكي، ثم يخرج حاضر السرد ليتجه إلى الماضي، ويعود السرد مرة أخرى إلى حاضر السرد يطرح هذا العمل الروائي مجموعة من الإشكالات التي يعيشها المجتمع العربي عامة، والمجتمع الجزائري خاصة (الأرض، الغربة، صلة القرابة والدم، الفقر، التعاضد العائلي، المرأة، الشجاعة، التضحية)، حيث تظهر الجماعة في الرواية قانعة بالواقع لا يبحث عن سب تغييره، ترضخ لتأثير المعتقدات الشعبية والخرافات السائدة في الوسط الريفي للسيطرة على حركة الفعل الإنساني للجماعة.

وكانت لغة السرد زاخرة بالمفردات المعبرة ذات الدلالات العميقة والواضحة.

1- دلالة بعض أسماء الشخصيات وصفاتها:

للأسماء سر عميق ودلالة ورموز ترمز لها، ولها أهمية اجتماعية وتراثية بالغة باعتبارها علامات للشخصيات وعناوين تعرف بها، ولهذا يختار الروائي للأسماء التي تناسب في أداء كل واحد منهم، واختلاف الأسماء سبب في اختلاف موضوع الرواية حسب ميول الكاتب، ويرجع هذا الاختلاف أيضًا في طبيعة الأسماء وصفاتها، ولهذا سنقف على أهم الشخصيات لمعرفة معنى أسمائها وهي على النحو التالي.

- عـــامـــر:

وهو صاحب المقام الأول في الحضور السردي سواء من حيث احتلاله الحيز الأكبر من المساحة الورقية، أو من حيث تأثيره وحركيته في سير العمل الروائي محتلاً بذلك الصدارة أمام باقي الشخصيات. فهو يمثل لديهم موضوع فضول، «يرغب كل واحد منهم في الحديث عنه، والكل يبدو مبتسمًا ومؤدبًا ومهتمًا به»[1].

عامر: هو فتى من قرية صغيرة في بلاد القبائل –إغيل نزمان- من أبوان جزائريان، غادر القرية منذ خمسة عشر سنة إلى باريس، «كان وقتها فتى بافعًا، قضى بضع سنوات في المدرسة، يعرف بتفانيه في العمل»[2]، كان عامر مستعجلاً في التحليق بعيدًا عن أهله وقريته، هذا الإبن العائد بغتة إلى أهله وأرضه، كان الجميع يظنه ضالاً إلى يوم الدين، تزوج فرنسية خلال غيبته الطويلة في فرنسا وجد نفسه تائهًا في حشود، مترددًا، خائفًا، لكنه جاء مستسلم، وأنه جدير بالتقدير، كان يستأنس كثيرًا برفاقه الذين وجدهم بفرنسا، ولِمَ لا وهم أبناء قريته عمل معهم في المنجم، وتزامنت هذه الفترة بين الحرب العالمية الأولى والثانية، وكان جانب آخر من هذا الفتى القبائلي وهو الحنين المبهم الذي جعله يغادر

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، تر: عبد الرزاق عبيد، دار تلانتيقيت للنشر، بجاية، الجزائر، 2014م، ص 13.
(2) الرواية، ص 17.

فرنسا «ويستجيب للنداء الملح للأرض» [1]، فلا فائدة له غير وجوده في "إغيل بزمان" ويسط قريته وعائلته، والعمل على احتلال مكانته بينهم.

فعامر إذًا هو «شديد الحيلة يكون قد تعلم ذلك هناك»[2].

«ما إن انضوى بين ذويه، حتى استرجع ثقته بنفسه، وعرف بأنه يعتبرونه بطلاً»[3].

«عرف كيف يستغل هنيهة زمنية، فقام واثق النفس، أخذ يشرح لهم كيف ينظم العمال الفرنسية جمعياتهم الفرنسية»[4].

«اكتسب سعة أفق واسعة، وكثيرًا من المال»[5].

كانت اثنى عشر شهرًا كافية لعامر لكي ينسى ماضيه، ويحس بالسعادة التي ظنّ مدة طويلة أنه لن يتذوقها أبدًا، إنّ ضخامة هيئته، وانبساط طلعته، وتفاؤله، وقندورته، وبرنوسه النظيف كل هذا كان كافيًا لكي يكون وجيها، «أصبح وجيهًا شابًا إلى الأبد، أحكم الحركات، وأضحى يعرف كيف يجيب الإجابة الصحيحة، وبلغ بهذا مبلغ الإثارة والدهشة»[6].

لا ينطوي وضع عامر الحالي والماضي على أسرار كثيرة، لقد رآه كل أفراد قريته الذين زاروا باريس يعاشر رومية، «ورابح هو أول من مرّن عامرًا على العلاقات الجنسية»[7].

تزوج عامر من فتاة فرنسية "ماري" وأنجبا ولدًا، فظاهر حياته يوحي بأنّه رجل مستقيم، صادق تنحصر بين زوجة وابن، لكن داخله كان رجل له عشيقة واسمها "شابحة" وهي من قريته.

---

(1) الرواية، ص 93.
(2) الرواية، ص 189.
(3) الرواية، ص 46.
(4) الرواية، ص 213.
(5) الرواية، ص 214.
(6) الرواية، ص 243.
(7) الرواية، ص 71.

- مـــاري:

وهي ثاني شخصية حيث استحواذها على مجرى السرد ممثلة بذلك شخصية البطلة إضافة إلى عامر.

وهو اسم غير عربي، وإذا بحثنا عن دلالة "ماري" في الرواية فإننا نجدها تمثل صورة المرأة الفرنسية، إنها من عالم آخر مختلف كلية، إنها تسحق الجميع بجمالها، لا يتناسق ملامحها وانسجام تقاسيمها ولكن بصفاء سجيتها، والألوان الزاهية لوجهها، «فهي ليست من سلالتهنّ ولا تتكلم لغتيهنّ، وما من شيء يجمعهنّ بها غير الجنس»[1].

وإنّ ما يمكن أن ينقص من قيمتها «هو أنها تحادث الرجال وتخرج بمفردها مستعرة بكل القيم، ومثيرة للقبائل ومقلة للحياء، كما يصنعن بفرنسا»[2].

وما يمكن قوله أنّ ماري قد استقبلت بكثير من التعاطف، وذلك أنّ المرأة دائمًا أكثر شفقة على المرأة الأخرى، فيظهر أنّ المرأة عندنا شفوق بطبعها أكثر بكثير من غيرها.

فماري إذًا فتاة في مقتبل العمر تزوجت عامر في فرنسا، كانت فتاة فقيرة متواضعة، لم يكن لديها أي حكم مسبق على أولئك الأشخاص الذين أتت لتبحث عن السكينة بينهم، على الرغم من أنها في البداية ظهر لها هذا المجتمع غير معقول ومتخلف، والخلاصة أنّ رجاله يستعبدون النساء، ولا يعطوهنّ أيّ مكانة ولعلهنّ رقيقًا لديهم، وبعد ذلك أخذت تصحح هذه الأخطاء شيئًا فشيئًا، لأنهنّ لسنّ حمقى لهذا الحد، فقد انتبهت إلى الكيفيات التي كنّ يخاطبنها بها فقد كنّ مهذبات ومحتشمات، وقد علمنها كيفية المحافظة على الزواج القبائلي، وعلمنها كيف تحضر الكسكس والرغيف، وكيف تشعل الحطب في الموقد، «فقد عرفت أنّ المرأة القبائلية يجب أن تكون جادة ومتواضعة، وذلك لأنّ الرجال من جهتهم جادون ومتواضعون»[3].

---

(1) الرواية، ص 40.

(2) الرواية، ص 40.

(3) الرواية، ص 183.

قضت ماري ثلاث سنوات مع عامر في نُزُل، وعندما قررا أن يختزلا حياتهما مع باريس ويختارا إغيل نزمان، فلم يكن ذلك القرار نزوة، «فقد تعبا من حياة يمكن أن تخفي لهما النهاية مفاجآت غير محسوبة»[1].

إذًا فماري «تبغض دائمًا صاحبات العمل الصغيرات المتكبرات»[2]. تعرف تقريبًا من في الحي، ولكنها لم تتعلق سوى بشابحة، كما أنها لا تخرج من مترلها، فقد أخذت مكانتها مثلها مثل الزوجات الأخريات في القرية، «نادرًا ما تخرج من مترلها لزيارة أحد، وإذا خرجت فذلك مع زوجها»، وماري لا تشكو كثيرًا من الزيارات، لأنّ ذلك تسلية بين يديها، «تعلمت بسرعة اللغة القبائلية، في خلال سنة أصبحت قادرة على الحديث والمزاح مع أصدقائها»[3].

– شابحـــة:

هذه الشخصية كان لها حضورًا قويًا، فقد برزت بشكل كبير في الطور الأخير من السرد، وشابحة هي زوجة سليمان وعشيقة لعامر.

فقد كانت المساعد والمعين لسليمان في فلاحة الأرض وخدمتها، شابحة هي فتاة في الثامنة والعشرين من العمر، فهي في سن عامر لم تنجب في حياتها، و لم تعرف وعكة المرض، على الرغم من أنها عاشت عيشة فيها الكثير من الضنك، ومع ذلك لا تزال في هيئة الفتاة الصغيرة، «معتدلة القوام، سنحتها كامدة وناعمة، وجهها يقظ تزينه عينان سوداوان واسعتان، لا تفارقها الابتسامة، تعرف كيف تصفر خدها ببراءة كبراءة الطفل المتضايق»[4].

وقد كانت شابحة مواضبة على المجيء كل يوم إلى أم عامر وزوجته للمساعدة والترفيه عنهم في بعض الأحيان.

---

(1) الرواية، ص 122.
(2) الرواية، ص 191.
(3) الرواية، ص 197.
(4) الرواية، ص 153.

زُوّجت عنوة لسليمان، فقد كانت تحلم بشيء آخر غير سليمان، حيث تقدّم إليها وكان يبلغ من العمر ثلاثون سنة وهي خمسة عشر سنة، وعلى الرغم من ذلك فإنّ شابحة كانت مطيعة لزوجها، تأخذ بآرائه وتعترف بتجاربه الحياتية، وقد كانت هي وزوجها يفلحان الأرض ويجمعان التين في الحقول.

إذًا فشابحة شخصية مبتهجة، خدومة، ودودة، لها القدرة على غزو القلوب بحركاتها الصبيانية المتشيطنة.

- الأم (كمومة):

كمومة هي والدة عامر، تمثل النموذج النسوي الصادق، الصبور، المرأة الريفية المكافحة، هذه الشخصية في الرواية نجها تتكون من الألم، الظلم، مثقلة بالسنوات والتجارب القاسية، لا تعرف أين وصلت مع الحياة البائسة، «عاشت أولاً تحت سيطرة ووالد زوجها القاسي وأمه الطاغية، عاشت وسط نساء كثيرات: أخوات زوجها، كانت العائلة كثيرة العدد والحياة صعبة، تعلمت التحمل والشقاء وعرفت الظلم والأذى، وفي أغلب الأحيان كانت هي الضحية» [1]. فإلى جانب البؤس والشقاء فقد ابتليت بخسارة إبنها عندما قرر الذهاب إلى فرنسا وتركها هي ووالده، فلم يجدا إلاّ نفسيهما وحيدين مهملين، والخسارة الأخرى هي وفاة زوجها قاسي، « وجدت نفسها وحيدة وبلا عائل يعيلها وتمنت مرارًا لو أنها ماتت قبل قاسي»[2].

فهذه هي شخصية كومة أثلتها الحياة بالمآسي والأحزان، ولكن مع عودة ابنها من ديار الغربة، عادت إليها الحياة من جديد.

- سليمان:

هذه الشخصية ذات فراسة لا تخطئ، اشتهر بكونه فلاحًا، كان يستشار في كل شيء، «وكأن الرزنامة الفلاحية مدونة في رأسه، يحسن الحساب أفضل من المرابط، يعرف جميع الأمثال التي بمثابة

(1) الرواية، ص 19.
(2) الرواية، ص 26.

قوانين للطبيعة»[1]. كان مزارعًا ماهرًا، قويًا جدًا، طويل الهامة، وعلى الرغم من ذلك فإنّ الكل يعلم بأنه فظّ وشرير خاصة مع عامر، لذا يفضلون تجنبه، لم يذهب سليمان قد إلى فرنسا لأنّ والديه لم يجرؤوا على تشجيعه، كما لم يذهب إلى المدرسة، غير أنّ عيشته الدائمة في القرية ومعايشته للعديد من الأجيال اكسباه ثقة بالنفس كبيرة، تزوج في مرحلة متأخرة جدًا من عمره، فهو رجل مجرب ومحنك ومزود بخبرات قلّما يصرح بها.

- رابـــح:

الأخ الأكبر لسليمان، شخصية متسامحة وقوية، قضى عشر سنوات في المنفى، لا يفكر إطلاقًا في العودة، كان شابًا ضخمًا، ذو وجه عريض، عينان داكنتان وشعر أسود، استطاع فرض نفسه على الجميع بصوته الجوهري، ساعد الكثير من مواطنيه الذين كانوا يقيمون معه بفرنسا بما فيهم عامر، وجد لهم العمل في المنجم، وكان همزة وصل بينهم وبين الإدارة والشرطة، توفي رابح في حادث قطار للسكة.

2- دراسة سيميائية الشخصيات

أ- سيميائية الشخصية الرئيسية

- عامر قاسي:

شخصية فاعلة في المتن السردي، وحاضرة بقوة مما جعلها محط الأنظار، سافر من بلد الجزائر وبالتحديد من قرية صغيرة من بلاد القبائل، ذاهبًا إلى بلد آخر إلى فرنسا، وجد عالمًا آخر غير العالم الذي كان يعيشه في قريته، عالمًا مختلفًا فيه الكثير من الأحداث والصراعات، وبلد الأحلام المزعجة، عانى الكثير، ورأى أماله كلها تتلاشى، لكن بعد عودته ومغادرته لذلك البلد يتخيله الآن ويدرك بأنه كان حقيرًا جدًا ولا قيمة له، فهو يسحقه ببهائه، فهو يشعر الآن بأهميته «وقدرته على التصرف والابتكار واحتلال مكانة خليقة به»، ويمكن إدراج هذه الشخصية ضمن الشخصية الديناميكية التي تدور حولها الأحداث من البداية حتى النهاية.

(1) الرواية، ص 95.

– ماري:

شخصية مستحوذة على مجرى الأحداث في السرد، متواضعة فقيرة، أخذت مكانة في القرية، خلال سنة تعلمت اللغة القبائلية بسرعة، عاشت طفولة قاسية.

– شابحة:

شخصية عفوية مرحة، تحب العمل مثابرة، وهي جارة لعامر، علمت ماري كل ما يتعلق بالأعمال المنزلية، تتقاسم المحبة والمودة والتعاون معا عائلة عامر.

ب– سيميائية الشخصية الثانوية

إنّ التركيز الراوي في رواية "الأرض والدم" على الشخصية البطلة، لا يعني أبدًا أنّه أهمل باقي الشخصيات التي هي مكملة أو ثانوية، لأنّ العمل الروائي ينجم عن تناسق الكل مع الجزء، وإضفاء مسحة من الجلاء والوضوح على التصور العام للرواية، ولذا فإنّ شخصيات الرواية متعددة ومتباينة من حيث أسمائها وصفاتها وأفعالها، والمتمثلة في:

– **الأم (كمومة)** : شخصية طيبة، بسيطة، فقيرة، تتقاسم المحبة والمودة مع أفراد عائلتها وقريتها، فهي عجوز أثقلتها الحياة بسنوات من البؤس والشقاء، وتجارب مختلفة في الحياة.

– **سليمان**: شخصية في منتصف الأربعين من العمر، فلاحًا ومزارعًا، لديه ثقة كبيرة بالنفس، لديه تجارب وخبرات في الحياة.

– **رابح**: عاش في فرنسا وتوفي بها، عمل في المنجم، شخص متسامح وقوي، ساعد أبناء قريته في فرنسا.

– **حسين**: عاش فترة في فرنسا ثم عاد إلى قريته، شخصية متطاولة، كثير التبجح في كلامه ومعجب بنفسه، عاش مع عامر فترات في فرنسا.

– **حمامة**: شخصية مندفعة وشريرة، فضولية تحب الثرثرة ومعجبة كثيرًا بنفسها، لم يرد وصف هذه الشخصية كثيرًا.

– **رمضان:** شيخ كبير في السن وهو محترم من قبل أهالي القرية، شخصية قوية مؤمنة متدينة.

– **سمينة:** زوجة رمضان، شخصية مزدوجة من جهة ساذجة سليمة، ومن جهة أخرى ماكرة، ومنا ناحية أخرى صادقة والتي حازت بها على إعجاب جميع النساء.

– **أندري:** شخصية فرنسية، يشتغل بالمنجم مع عامر، كان منجميًا متزمتًا من أصل بولندي، وهو السبب في مقتل رابح.

– **سي محفوظ** : دال (مرابط) يذهب إليه أهالي القرية، اشتهر أجداده بموهبة قوة البصيرة، فقد كان مهيب الشخصية.

3– الشخصيات المهيمنة في الرواية ومستوياتها

بعد الاطلاع على شخصيات الرواية نجد أوّل شخصية هيمنت على النص هي شخصية عامر قاسي، فقد كان ظهوره بارزًا، و لم يختلف على مدار النص لأنّ هذه الوظيفة الأساسية تستدعي حضوره بصفة دائمة لترتيب المقطوعات السردية، وتوزيع الأدوار على باقي الشخصيات واتباع حركاتهم، سواء أكانوا أساسيين أم عرضيين، إضافة على شخصية ماري، أمّا باقي شخصيات الرواية، هي شخصيات تقدم عن طريق السارد، فهو الذي يحكي على لسان شخصيات من خلال الأدوار التي يقلدها.

أ– دال الشخصية:

الشخصية عبارة عن وعاء يحتوي على مجموعة من الإيماءات والإيحاءات التي يتوجب على الدّارس أن يستخرجها ويؤولها حسب طبيعة الشخصيات وخصوصياتها، وبهذا يحرك الرّاوي لغة الضمائر لتخدمه، إذ نلاحظ على مستوى شخوص رواية "الأرض والدم"، أنها تقوم على ثنائية (هو، هي) والتي يعتمد من خلالها الراوي سرد صفات هذا البطل والبطلة، مشيرًا إلى البطل بـــ "هو" وإلى البطلة بـــ "هي"، أسندت لهاتين الشخصيتين لنفسها معظم المهام الصعبة والتي مكنتها من الحضور بشكل مكثف، فهذه التقنية تعمل على إعادة الشخصية إلى تعريفها الأول كونها مجرد كائن ورقي ينشأ من الفراغ، ثم يعمل السرد على توضيح معالمه.

قدم الكاتب البطل في مجموعة من الصفات كالتالي:

هو: نفسه استقبل من ذويه [1]، في الحال يشعر بأنه قد اندمج [2]، الذي يسحقه ببهائه [3]، يشرع في مهمته[4]، مستعد لاحتلال مركز محترم بينهم[5]، في رأيه أوْلى بتلك النصائح منه[6].

«يعلم أنّ أساس المسألة أنْ تكون ثريًا»[7]، «ينحدر على المسلك واثق الخطى»[8]، «لا يكاد أن يراه بوضوح في ذلك الماضي»[9]، «قد تحمل العبور دون أن يسقط مريضًا» [10]، «لا يزال يتبع مرافقيه الذين يظهر عليهم أنهم يشاركونه نفس توعكه وحيرته، يرى أنّ الفلاحون يتميزون بروح الجماعة ويساعدون بعضهم البعض» [11]، «يعرفهم منذ الطفولة، وحتى أثناء غيبته الطويلة» [12]، «يعلم حدودها، غير أنّ تغييرات عديدة جدّت عليها»[13]، «إنّه إنسان محترم تفتخر به عائلة آيت العربي»[14].

إذًا فعامر هو رجل واثق النفس متئد، رزين ووجيه من وجهاء القرية، لم يكن منحازًا إلى أي جهة، ماهر في العمل خاصة مع أبناء قريته، يستمعون إليه باهتمام أثناء الاجتماعات التي يرأسها، وهذا نظرًا لتجربته التي استفاد منها كثيرًا من خلال غربته الطويلة بفرنسا، وهي تجربة يفتقدها الآخرين.

---

(1) الرواية، ص 13.
(2) الرواية، ص 13.
(3) الرواية، ص 15.
(4) الرواية، ص 17.
(5) الرواية، ص 18.
(6) الرواية، ص 47.
(7) الرواية، ص 48.
(8) الرواية، ص 53.
(9) الرواية، ص 59.
(10) الرواية، ص 61.
(11) الرواية، ص 74.
(12) الرواية، ص 126.
(13) الرواية، ص 144.
(14) الرواية، ص 203.

أمّا هي : هي: «إذا قتلت عامرًا فأين هي مصلحة كمومة» [1]، «ليست من سلالتهن ولا تتكلم لغتهن»[2]، «التي تجلب نظرات الإعجاب إليها الآن» [3]. «إنها قد فرضت نفسها فرضًا على عامر، هي هي رغبت في المجيء إلى هنا»[4]، «إنها رهيفة، أرأيتن بشرتها، إنها لن تغلق الباب على نفسها مثل زوجة زوجة أمين» [5]، «مدركة له، جديرة بالرحمة فعلاً، لحساسيتها تعاقبها الحياة بالجفاء وعدم الإحساس»[6]، «إنها جميلة ولإرضاء أنفسهم: فهي حطب جنهم لا محالة» [7]، «التي تحول الأحاديث الجادة في كل مرة»[8]، «إنها توحي بالاستعداد والتسلح التّام لمواجهة الحياة» [9]، «هي التي اعتقدت في في البداية أنها لن تتمكن أبدًا من التصرف في هذا التشابك» [10]، «إنها تتأسف عندما تبعت عامرًا إلى السيدة غاريت»[11]، «هي جميلة كنتك»[12].

إنّ اعتماد الضميرين (هو، هي) كدليلين على البطل والبطلة يمنح الكاتب حرية التنقل في كيانهما، ولقد منحتهما مجموعة من الصفات النفسية والفكرية، كما أنّ اعتماد الكاتب ضميري (هو، هي) يمكنه من الاختفاء وراءهما مفصحًا بذلك عن مختلف الإيديولوجيات ووجهات النظر والتناقضات التي تجوب أفكاره.

---

(1) الرواية، ص 38.
(2) الرواية، ص 40.
(3) الرواية، ص 41.
(4) الرواية، ص 42.
(5) الرواية، ص 42.
(6) الرواية، ص 44.
(7) الرواية، ص 45.
(8) الرواية، ص 49.
(9) الرواية، ص 53.
(10) الرواية، ص 117.
(11) الرواية، ص 124.
(12) الرواية، ص 155.

وبعد عرض بعض الصفات لكل من البطل والبطلة في الرواية، فقد كان هناك ظهور عرضي لبعض الشخصيات، لأنّ كل واحدة منها قد ظهرت مرة واحدة فقط، ثم عادت لتختفي تمامًا على مدار السرد القصصي فوجودهم لم يكن سوى لتبادل الحوار مع البطل.

الشخصيات	الظهور في بداية النص فقط	الظهور في بداية ونهاية النص	ظهور متكرر	ظهور وحيد	ظهور عرضي
عـــامر			X		
مـــاري			X		
شـــابحة		X			
كمومة (الأم)		X			
سليمـــان		X			
رابـــح				X	
حسيـــن				X	
حمـــامة				X	
رمضـــان				X	
سمينـــة				X	
أنـــدري					X
سي محفـــوظ					X

ب- مدلول الشخصية:

الشخصيات الروائية علامات لسانية فيه (دال ومدلول)، دال حاضر ومدلول غائب، فهما مرتبطان بحيث يقتضي وجوه أحدهما لآخر، والشخصية العلامة يمكن أن تكون إمرأة أو رجل، فكلاهما يكمل الآخر، وبذلك فهي تتكون من عنصرين الدّال (الاسم) والمدلول (المعلولات) المعلولات الدلالية المندرجة بداخله، ويظهر ذلك من خلال الجدول التالي:

الشخصية	رجل	إمرأة
عـــامر	X	
مـــاري		X
شـــابحة		X
كمومة (الأم)		X
سليمـــان	X	
رابـــح	X	
حسيـــن	X	
حمـــامة		X
رمضـــان	X	
سمينـــة		X
أنـــدري	X	
حسيـــن	X	
سي محفـــوظ	X	

التعليق: نستنتج بأنّ النص قد غلب عليه الظهور الرجالي (7) وها راجع إلى القوة.

4- علاقة الشخصية بالمكان والزمان السردي للرواية:

يعد كل من المكان والزّمان عنصران تكتسب الشخصية من خلالها مشروعيتها، فهما بذلك أساسيان في البناء الروائي القصي، وفيما يأتي سنتطرق إلى علاقة الشخصية بالزمان والمكان.

أ- علاقة الشخصية بالمكان:

يعتبر المكان رمزًا للقدرة على الفعل، وإمكانية التفاعل مع الآخرين، فقد اتخذت الرواية شكل الرحلة في الانتقال من مكانين مختلفين، إذ يرى الكتاب الكلاسيكيون أنّ المكان مجرد حيز مادي تأخذه الذّات، أمّا اليوم فإنّه يحمل وجهًا آخر لا يبصره إلاّ العقل ويجول فيه سوى الخيال والذهن، ففي أسلوب السرد القديم تبدأ الرواية بوصف ديكور مألوف وعادي سيحدث فيه شيء ما.

أمّا الرواية الجديدة، يأخذ المكان صورة انزياحية، ذهنية تطبعها فيه الشخصية بكل انفعالاتها، كل من المكان والشخصية ليس بإمكانه الاستغناء عن الآخر، فالمكان في الرواية ليس مجرد إطار للأحداث، وإنما هو عنصر حي وفاعل في الأحداث والشخصيات، وهو حدث وجزء من الشخصيات المحورية، كما أنه يعد مكونًا هامًا من مكونات العمل الروائي، إذ يمثل الأرضية التي تجري فوقها الأحداث، وتتحرك ضمنها الشخصيات، وهو عنصر فعال في الشخصية الروائية، تتمثل دلالة الأمكنة في الرواية في:

– **الجزائر (منطقة القبائل في قرية صغيرة)** : يأخذ المكان "إغيل نزمان" صورة وطن البطل عامر قاسي الذي تربى وترعرع فيه، ففي حديثه يهيم عامر بعائلة تركها وخاصة أمه العجوز، وفي رحلته التي بدأها من قريته الصغيرة وصولاً إلى فرنسا (باريس)، حيث يبدأ الراوي في الرواية بالحديث عن القرية ويعود غليه مرة أخرى، تنطلق الرحلة من هذه القرية الصغيرة، وعند عودته يسترجع ذكرياته عندما كان في قريته ويتذكر عائلته وكيف كانوا يعيشون، إذ تتكون القرية من مجموعة منازل، فلم يعثر في أي مكان على إنجاز عظيم أو ضخم، معقد أو رائع. وفي هذا يقول الراوي: «يدرك الآن جيدًا بأنّه حقيرًا جدًا هناك، أمّا هنا يشعر بأهميته، ولماذا نسي قريته؟ لماذا لم يفكر في حقوله وفي بيته وفي عائلته؟»[1].

والسارد في وصفه للقرية لا يستدعي عناصر المكان من طرقات وحقول وغابات ومنازل ليحيل على هذه الموجودات، بقدر ما يشخصها بدلالات إيحائية تعكس ما يعتمل في نفسه من رغبات وانفعالات.

– **فرنسا (باريس)**: فهي المحطة التي مرّ بها البطل عامر، حيث كانت هذه المدينة قاسية "عليه" لقي فيها الكثير من الأوقات الصعبة، مغامرات وسنوات عجاف، تعرض للموت مرات عديدة، ألقي عليه القبض مثله مثل كثير من مواطنيه وسجن بصفة سجين حرب، عرف هناك العديد من المحتشدات والأعمال الشاقة، لم يعرف خلال تلك الفترة كلها رفيقًا أو صديقًا يظهر نحوه شيئًا من المودة، كان وحيدًا بين

(1) الرواية، ص 16.

آلاف الأفراد الذين يتزاحمون ويتحايلون، ويقسون ويشتدون على بعضهم، «يعلم شيئًا فشيئًا أنّ الحياة "رفسات متتالية" كما يقول المثل القبائلي»[1].

ب- علاقة الشخصية بالزمان:

يعد الزمن من العناصر الأساسية التي تساهم في بناء الرواية، إذ لا تتضح الشخصية في العمل الروائي إلاّ إذا ربطناها بالزمن الذي يضفي عليها خصائص تميزها عن باقي الشخصيات.

إنّ الزمن محوري وعليه تترتب عناصر الإيقاع والاستمرار والزمن الذي نحن بصدد دراسته هو "الزمن الدلالي" وهو مرتبط بزمن القراءة وما تحمله من تعددية في القراءات وتباينها في الدلالات وانفتاحها في مجالات تأويلية، ويظهر ذلك في الرواية وهي "الأرض والدم" لمولود فرعون، وإذا كان الزمن الروائي يسير صعودًا وهبوطًا باتجاه الماضي والحاضر، فإنّ الجدل بين الزمنين لم يثمر انفتاحًا إيجابيًا على المستقبل.

تبدأ الرواية زمنيًا بزمن الحاضر، إذ تتفتح الرواية بنزول عامر وزوجته الفرنسية في ظهيرة يوم ربيعي إلى قرية "إغيل نزمان"، حيث استقبلا من طرف الأهالي، ودهشة الكثير من سكان القرية إذ يكشف "مولود فرعون" عن حاضر سردي مهتري يسوده الجهل والتخلف والفقر، تحاول الشخصية (عامر) المنبهرة بحضارة الغرب، وفي زواجها من ماري أن تتكيف مع هذا الحاضر، لتنتهي موجة الزمن بالموت مجسدة نهاية الاستلاب وانتصار قانون الأرض والدم.

تتحرك الرواية في ضوء مستويين مختلفين من الزمن:

الأول: الحاضر الذي يتشكل داخل نطاق المشاهد والصور التي تبرز طبيعة العلاقات التي تحكم سكان القرية المنغلقة على ذاتها بضوابطها وأعرافها وتقاليدها، زمن الاستعمار الفرنسي وبداية مرحلة الهجرة.

الثاني: الماضي المستعاد الذي يفيض بالتأثير الدرامي من جهة، يتذكر عامر جميع جزئيات الأيام المشؤومة التي قضاها في المنجم، يتغلغل السرد في الماضي شخصية عامر أو قاسي (حادثة المنجم) والتي قُتِل فيها

(1) الرواية، ص 84.

رابح، كونه يسيطر على كيانها ويتسلط على حاضرها، فهو لم يستطع التكيف مع الوضع الجديد، وظل الماضي في حالة انبعاث دائم، لأنّ أحداث الحاضر المتلاحقة لم تستطع أن تحد من غلواء الماضي الذي يبقى مترسخًا وحيًّا في الذاكرة.

ينتمي الزمن السردي في رواية "الأرض والدم" إلى الشكل التتابعي، وهو الشكل الذي يسيطر على الرواية وأهم ما يميزه هو ترتيب الزمن الروائي بشكل تتوالى فيه الأحداث وتتعاقب دون انحرافات في سير الزمن، ولهذا عد النسق في الخطابات السردية من أبسط أشكال النثر الحكائي التخيلي.

التعريف بصاحب الرواية "مولود فرعون":

ولد الكاتب الجزائري المبدع "مولود فرعون" في 8 مارس 1913م، في قرية "تيزي هيبل" بولاية "تيزي وزو" بالجزائر، من عائلة فقيرة، اضطر أباه نتيجة الفقر الهجرة مرات عديدة للبحث عن العمل، لكن هذا الفقر لم يصرف الطفل ولا أسرته عن تعليمه، فالتحق بالمدرسة الابتدائية في قرية "تاوريرت موسى" المجاورة، فكان يقطع مسافة طويلة يوميًا بين مترله ومدرسته سعيًا على قدميه في ظروف صعبة، فتحدى "مولود فرعون" ظروفه القاسية والمصاعب المختلفة بمثابرته واجتهاده وصراعه مع واقعه القاتم الرازح تحت نير الاستعمار الفرنسي، وبهذا الصراع استطاع التغلب على كل المثبطات والحواجز مما أهله للظفر بمنحة دراسية للثانوي بمدينة "تيزي وزو" أولاً، وفي مدرسة المعلمين بمدينة "بوزريعة" بالجزائر العاصمة بعد ذلك.

ورغم وضعه البائس تمكن من التخرج من مدرسة المعلمين، واندفع للعمل بعد تخرجه، فاشتغل بالتعليم حيث عاد إلى قريته "تيزي هيبل" التي عيّن فيها مدرسًا سنة 1935م، في الوقت الذي بدأ فيه عالمه الفكري وأخذت القضايا الوطنية تشغل اهتمامه، وكما أعطى من علمه لأطفال قريته أعطى مثيلاً له في القرية التي احتضنته تلميذًا قرب مسقط رأسه بأقل من ثلاثة كيلومترات، وهي قرية "تاوريرت موسى" التي التحق بها معلمًا سنة 1946م في المدرسة نفسها التي استقبلته تلميذًا، وعيّن بعد ذلك سنة 1952م في إطار العمل الإداري التربوي بمدينة "الأربعاء ناث إيراثن"، أمّا في سنة 1957م فقد التحق بالجزائر العاصمة مديرًا لمدرسة "نادور" في (المدينة حاليًا)، كما عيّن في 1960م مفتشًا لمراكز اجتماعية كان قد أسسها أحد الفرنسيين في 1955م، وهي الوظيفة الأخيرة التي اشتغل فيها قبل أن يسقط برصاص الغدر والحقد الاستعماري في 15 مارس 1962م، حيث كان في مقر عمله، مهمومًا بقضايا العمل وبواقع وطنه خاصة في المدن الكبرى في تلك الفترة الانتقالية، حين أصبحت عصابة منظمة الجيش السري الفرنسية المعروفة بـــ "أويس" تمارس جرائم الاختطاف والقتل ليلاً ونهارًا، حيث اقتحمت مجموعة منها على "مولود فرعون" وبعض زملائه في مقر عملهم، فيسقط برصاص العصابة ويكون

واحدًا من ضحاياها يوم 1962/03/15م، الذين يعدون بمئات الآلاف، فتفقد الجزائر بذلك مناضلاً بفكره وقلمه.

من مؤلفاته:

اختلفت أعمال "مولود فرعون" بين الرواية والتأليف، كتابين: أحدهما بعنوان "أيام قبائلية" (يتكلم فيه عن عادات وتقاليد المنطقة)، والآخر بعنوان "أشعار سي محند".

أمّا الروايات: "ابن الفقير"، كتبها في شهر أفريل سنة 1939م، "الذكرى"، "الدروب الوعرة"، "الأرض والدم". كلها تتكلم عن المعاناة الجزائرية تحت ظلام الاستعمار والمحاولات العديدة لطمس هويته من تجهيل ونشر للمسيحية ومحاربة الإسلام واللغو.

إضافة إلى مجموعة من رسائل ومقالات ذات الطابع الشخصي، من أقواله: "أكتب بالفرنسية، وأتلكم بالفرنسية، لأقول للفرنسيين أنّي لست فرنسيًا".

ملخص الرواية:

بدأ الكاتب باعتراف صريح بأنّ أحداث الرواية حقيقية في بلاد القبائل زاوية صغيرة تفضي إليها طريق جبلية ملتوية، إنّ القرية بشعة على الرغم من الديكور الأخضر الذي يحيط بها، إلاّ أنّ الطريق المرصص بالحجارة والغبار والوحل، يجعل الوصول نصرًا عظيمًا، «هكذا يكون الدّخول حدثًا صاخبًا ونصرًا باهرًا إلى قرية إغيل نزمان» [1]، هذه الافتتاحية تضع القارئ بصورة مباشرة في الإطار المكاني، فلم تخرج هذه الافتتاحية عن الشكل النمطي والإطار العام الذي أَلِفَ الرّاوي التقليدي السير عليه.

حين عاد عامر أوقاسي رفقة زوجته الفرنسية ماري إلى القرية بعد سنوات من الهجرة، يحكي الراوي بضمير الغائب قصة عامر أو قاسي الذي تضطره الظروف القاسية في المستعمرة إلى الهجرة نحو فرنسا في أول مرحلة من عملية الهجرة التي مست سكان شمال إفريقيا منذ العشرية الأولى من القرن 20م، إلى غاية 1922م، «لم أكن إنسانًا عاديًا» [2]، يفاجأ عامر هناك بالحرب العالمية فيضطر بعد مدة العمل في المناجم، ثم العودة باتجاه قريتهن هذه العودة تركت في عامر أوقاسي صدمة نفسية وهو يقارن بين عالم الغرب المتقدم والعالم التقليدي، لذا وجد صعوبة في التكيف مع الوضع الجديد.

عامر أوقاسي وماري وكمومة، شابحة، سليمان شخصيات تتحرك جميعها في حاضرها السردي، غير أنّ هذا الحاضر دائمًا مليء بالثقوب، ثقوب تنفذ من خلالها حيوات الماضي وصوره.

تحاول هذه الشخصية عامر المنبهرة بحضارة الغرب، وفي زواجها من ماري أن تتكيف مع هذا الوضع الجديد.

---

(1) مولود فرعون، الأرض والدم، ص 06.

(2) المرجع نفسه، ص 86.

خـــاتمة:

يعد بحثي هذا بمثابة ثمرة جهدي وتعبي، ونتيجة لمسيرة حياتي الدّراسية في مراحلها المختلفة الهدف الأساسي منها تحقيق النجاح واكتساب المعرفة لأنّ المعارف وحدها كفيلة بجعلها قادرين على خوض الحياة العلمية، وهدفي أيضًا من خلال هذه المذكرة الغوص في حيثيات زخم أحداث رواية "الأرض والدم" مقتصة فيها متغلغلة اجتهادًا مني بدراسة سيميائية لها، فكنت بذلك على موعد مع نتائج عديدة فيما يخص سيميائية الشخصية عامة والرواية خاصة، وكان من أهم هذه النتائج ما يلي:

1- شهدت الساحة الأدبية الجزائرية تحوّلات كبيرة قبل الاستقلال وبعده، تبعتها بالضرورة إبداعات روائية عديدة في بناء الظواهر الفكرية التي قد بدأها الفنان العربي فبلاً، فكانت نسخة طبق الأصل للإنسان الجزائري.

2- إنّ القارئ للرواية للوهلة الأولى يعتقد أنها تحمل في طياتها قصة فتى عائدًا من الغربة ويعيش في قرية صغيرة في بلاد القبائل، غير أنها في الحقيقة رواية حملت في جعبتها أبعاد اجتماعية وتاريخية، يعرض فيها الكاتب وجهات نظر الناس للحياة ومشاكلها.

3- السيميولوجية كعلم، تتيح الكثير من الفرص، وتفتح أفقًا واسعًا أمام القارئ عامة والباحث خاصة لكي يجود بما لديه من أفكار خاصة لطالما كانت دفينة العقل الباطن.

4- سيميائية الشخصيات الروائية تمثل أحد أقطاب الدّراسات الحديثة، ذلك أنّ الشخصية أصبحت تلعب دورًا كبيرًا من ذي قبل في الرواية، إنْ لم نقل الدّور الكامل والهدف من دراستها سيميائيًا، هو محاولة إيجاد ذلك البعد الفكري أو الموضوعي الذي يرمي له الرّاوي.

5- شخصيات الرواية ذات دلالات عميقة وأبعاد إيحائية كبيرة مثل: رمز للمساعدة وحب الخير، إذ قرّبتني الرواية أكثر إلى المرحلة التي عاشتها الجزائر خلال التسعينات وهي مرحلة معاناة الجزائر تحت ظلام الاستعمار ومحاولة طمس هويته، وجعلتني ألقي نظرة شاملة على حياة وطريقة عيش الشخصيات في تلك الفترة، فالأرض والدم عنصران أساسيان في مصير كل فرد.

لا يسعني في هذا المقام، إلاّ أنْ أكون قد وقفت ولو في زاوية واحدة من زوايا هذا البحث بأن أكون قد أضأت من خلال التبسيط والتوضيح الذي سعيت لهما في هذا العلم الحديث والجديد، أي علم السيميائيات وعلى وجه الخصوص سيميائية الشخصيات من خلال هذه الدّراسة البسيطة لرواية "الأرض والدم" لصاحبها "مولود فرعون".

وأتمنى في الأخير أن أكون قد وفقت في بحثي هذا ويعجب كل من يحاول تذوق هذا البحث، ويكون أحد المراجع المهمة خاصة من طرف الطلبة الذين سيجعلون منه مرجعًا إن شاء الله، وأن يكون بابًا لفتح بقية الأبواب الأخرى بمزيد من البحوث والدّراسات حول هذا الموضوع، وأتمنى أن تستمر مثل هذه الأبحاث وتكمل ما لم أستطع إنجازه.

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على دراسة الشخصيات وتحليلها سيميائيًا في رواية لمولود فرعون، وفق المنهج السيميائي الذي يجمع بين الوصف والتحليل لما يشتمل عليه من إشارات ورموز ومعاني خفية، لبيان بُناه الدّاخلية ودلالته وقصديته الفعلية، وقد تطرقت إلى تحديد مفهوم الشخصية وأهميتها الروائية وأنواعها، إضافة إلى سيميائية الشخصية الروائية.

ومن أجل تحديد دلالة الشخصيات وتحليلها اتخذت رواية "الأرض والدم" لتطبيق الدّراسة، وقد اشتملت هذه الدّراسة على: دلالة بعض أسماء الشخصيات وصفاتها، الشخصيات المهيمنة في الرواية ومستوياتها، ودراسة سيميائية للشخصيات، بالإضافة إلى علاقة الشخصية بالمكان والزمان السردي.

الكلمات المفاتيح: الرواية الجزائرية، التحليل السيميائي، دراسة سيميائية لشخصيات الرواية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر

1- رواية "الأرض والدم"، لمولود فرعون، تر: عبد الرزاق عبيد، دار تلاتيقيت للنشر، بجاية، الجزائر، 2014م.

ثانيًا: المراجع

1- أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

2- إبراهيم الكوفي، سيميائيات الشخصية في رواية "عشب الليل" –مقاربة سيميائية، 2005م.

3- إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، 2002م.

4- بول كوبلي ليتساجانز، تر: جمال الجزيري، علم العلامات، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

5- توفيق الزيدي، مشكلة الدراسةن الدار العربية للكتاب، 1993م.

6- جيرار دولودال، تر: عبد الحمن بوعلي، السيميائيات أو نظرية العلامات، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2004م.

7- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000م.

8- حلمي المليحي، علم النفس الشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م.

9- حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

10- دالاس مارتن، تر: حياة جاسم محمد، نظريات السرد الحديث، المجلس الأعلى للثقافة، الإسكندرية، مصر، 1998م.

11- روجرب هنكل، ترجمة وتقديم: صلاح رزق، قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 2005م.

12- رولان بارت وآخرون، شعرية المسرود، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2010م.

13- سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات الإيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، المغر، ط 1، 1996م.

14- سعيد بنلكراد، سيميولوجيا الشخصيات السردية، مجدلاوي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

15- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "زقاق المدن"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

16- عبد الملك مرتاض، في نظريو الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1997م.

17- عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط1، 2009م.

18- عدنان خالد عبد الله، النقد التطبيقي والتحليل، سلسلة كتب شعرية، آفاق دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1986م.

19- عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، السودان، 2003م.

20- علي عبد الرزاق الجبلي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984م.

21- غالي شكري، الرواية العربية في رحلة العذاب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1971م.

22- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، القاهرة، ط3، (د ت).

23- فلاديمير بروب، تر: عبد الكريم حسن وسميرة بن عمو، مورفولوجيا القصة، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1996م.

24- فيليب هامون، تر: سعيد بنكراد، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، دار الكلام، الرباط، ط 3، 1990م.

25- لؤي حمزة عباس، سرد الأمثال، دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003م.

26- مارسيلو داسكال، تر: حميد لحميداني وآخرون، الاتجاهات السيميولوجية، طبعة إفريقيا الشرق، 1987م.

27- محبة حاج معتوق، أثر الرواية الواقعية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994م.

28- محمد السرغيني، محاضرات في السميولوجيا، دار الثقافة، ط1، 1987م.

29- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2013م.

30- ميشال أرفيه، جان كلود، جيرو لوي بابيه، جوزيف كورتاس، تر: رشيد بن مالك، السيميائية الأصول، القواعد والتاريخ، مراجعة: عز الدين مناصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2002م.

31- هيثم سرحان، الأنظمة السيميائية، دراسة في السرد العربي القديم، دار الكتاب الجديدة، القاهرة، ط1، 2008م.

32- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007م.

ثالثًا: المجلات والدوريات

1- إبراهيم صدفة، السيميائية، مفاهيم، اتجاهات وأبعاد، الملتقى الوطني الأول، السيميائية والنص الأدبي.

2- جمال كديك، السيميائيات السردية، النمط السردي والنوعن مجلة السيميائيات والنص الأدبي، 1995م.

3- شريبط أحمد شريبط، سيميولوجية الشخصية الروائية، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، عنابة، ماي 1995م.

4- ملاس مختار، دلالة الأشياء في الشعر العربي: عبد الله البردوني نموذجًا، إصادرات رابطة إبداع ثقافية.

5- وردة معلم، الشخصية في السيميائيات السردية (أعمال الملتقى الوطني الرابع)، 2006م.

رابعًا: المعاجم

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج7، مج12، ط6، ط13، 1997م.

2- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، دار العودة، ج1، إسطنبول، تركيا.

3- جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إسماعيل، ميرتب للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.

4- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

5- مؤنس رشاد الدين، المرام في المعاني والكلام، القاموس الكامل، دار الكتب الجامعية، ط1، 2000م.

6- مجموعة مؤلفين، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، دار محمد علي، مؤسسة الانتشار العربي، تونس، بيروت، ط1، 2010م.

7- أبو نصر إسماعيل بن حماد ومحمد نبيل الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5، ط1، 1999م.

خامسًا: المراجع الفرنسية:

1- Greimas, Sémantique structurale, 1986.

2- Roland Barthes et real Ouellet : L'univers du roman, 1981.